ميراث رسول الله

صلى الله عليه وسلم

شرح وتعليق

الشيخ طه عبد الله العفيفى



ميراث رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الناشر : الدار المصرية اللبنانية
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع: ٥٥٠٠ / ٩٣
الترقيم الدولي: 3- 091 - 270 - 977
جمع : ار ـ تك
العنوان: ٤ ش بني كعب ـ متفرع من السودان
تليفون: ٣١٤٣٦٣٢
طبع : المطبعة الفنية
العنوان: ٢٢ شارع الشقفاتية ـ متفرع من الساحة ـ عابدين.
تليفون: ٣٩١١٨٦٢

الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م
الطبعة الثانية: ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م
تصميم الغلاف: صالح وحيد



صلى الله عليه وسلم

طبعة مزيدة ومنقحة

شرح وتعليق

الشيخ طه عبد الله العفيفي

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

قال الله تعالى: ﴿ وما أُوتيتُم من العلمِ إلا قليلاً ﴾

(الإسراء: ٨٥)

• • •

وقال رسول الله ﷺ: «إن الأنبياءَ لم يُورِّثُوا ديناراً ولا درهَماً، إنما وَرَّثُوا العِلمَ، فمنْ أخذ به، أخذ بحظ وافرٍ».

(من حديث رواه أبو داود والترمذى وله اللفظ)

الإهداء

إلى جميع الإخوة الباحثين عن الميراث الحقيقى الذى يُغنيهم ويُسعدهم فى دنياهم وأُخراهم.

أقدم: (ميراثَ رسولِ اللهِ ﷺ).

وكُلِّى أمل فى أن يكون ميراثًا لنا ولأبنائنا وأحفادنا جميعًا إلى يوم الدين... بل وزادًا ننتفع به إن شاء الله تعالى عند الله رب العالمين.

المؤلف

مقدمة الطبعة الثانية

أخى المسلم/ أختى المسلمة:

فإنه لمن دواعى الفخر، والتحدث بنعمة الله تبارك وتعالى.. (أنـه) بعد أن صَـدرت الطبعة الأولى من كتاب الفقير، وهو: (ميراث رسول الله) ﷺ.. الذى كان له أثره الطيب فى قلوب الإخوة المؤمنين الذين انتفعوا به ونفعوا.. والذين استطاعوا بما فيه من علم مفيد أن يفوزوا بميراث رسول الله ﷺ الذى كانوا يجهلون حقيقته.. كما كانوا يجهلون أنه الميراث الحقيقى الذى من الممكن أن يستغنوا به عن كل ميراث آخر من تلك المواريث الدنيوية التى كانت ولا تزال سبباً فى جميع الخلافات والإختلافات العامة والخاصة بين المسلمين.. بتلك الصورة التى أدت إلى تمزيق وحدتهم وضياع هيبتهم.. حتى أصبحوا بسبب كل هذا وغيره ـ من الأهواء النفسية ـ فى مؤخرة الصفوف الحضارية التى كانوا فى يومٍ مَـا فى مـقدمتها.. أو فى قِـمتهِـا.. كما أشار النبى ﷺ إلى هذا فى أحاديثه الشريفة:

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أخشى عليكُم الفقرَ، ولكن أخشى عليكمْ التكاثرَ، وما أخشى عليكم الخطأ**[1]**، ولكن أخشى عليكم الـتَّعَـمُّـد**[2]». رواه أحمد، ورواته محتج بهم فى الصحيح، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(١) فقد ورد فى الحديث : (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه).

(٢) لأن الله تبارك وتعالى يقول: (وليس عليكم جُـناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم..). الأحزاب: من الآية ٥.

وعن أبى سعيد الـخُدرىّ رضى الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «**إن مـّمـا أخاف عليكم ما يفتَـحُ الله عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**». رواه البخارى ومسلم فى حديث.. وكذلك رواه ابن أبى حاتم، قال: أنبأنا يونس، أخبرنى ابن وهب، أخبرنى مالك عن زيد أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ، قال: « **إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح لكم من زهرة الدنيا**» قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: (بركات الأرض):

(ومعنى) زهرة الدنيا: أى زينة الحياة الدنيا.. وزينتها:

أى: ما يكون فيها من الشهوات الدنيوية.. التى زينها الشيطان لهم.

ولهذا، فإن النبى ﷺ كان يـُزَهد أصحابه فى هذه الدنيا ـ حتى لا يُـشغَـلوا بها عن الآخرة ـ فيقول:

«**مَن أحَبَّ دنياه[1] أضَرَّ بآخرته[2]، وَمَن أحَبَّ آخرتـه أضرَّ بدنياه، فآثِروا ما يبقى على ما يفنى**». رواه أحمد ورواته ثقات، والبزار وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى فى الزهد وغيره، كلهـم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبى موسى الحاكم: صحيح على شرطهما.

(فآثروا ما يبقى على ما يفنى): أى اختاروا الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، فإن العاقل لابد أن يـؤثر الدائم الباقى من اللذات على القليل المتقطع منها، قال تعالى: ﴿ **بل تؤثرونَ الحياةَ الدنيا * والآخرةُ خيرٌ وأبقى** ﴾[3].

وعن المـستولدِ أخـى بنى فِـهرٍ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما**

---

(١) أى: مال إليها وتعلق بها وأكب على جمعها وتحصيلها.

(٢) أى: نقص حظه منها لأن الدنيا شغلته عن العمل لها.

(٣) سورة الأعلى: ١٦، ١٧.

الدنيا فى الآخرة[1] **إلا كما يَجعل أحدكم أُصبعه هذه فى اليَمّ**[2]**، وأشار يحيى بن يحيى بالسَّبابة، فلينظُرْ بِمَ يرجع؟**، رواه مسلم.

أى: فلينظر ماذا يكون على أُصبعه من ماء البحر إذا أخرجها، والمراد أنها لاتــساوى شيئاً.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاَّ ذكرُ الله وما والَاهُ، وعالم أو مُتعلمٌ**» رواه ابن ماجه والبيهقى والترمذى، وقال حديث حسن.

والمرادِ بالدنيا: أى: كل ما يُشغل عن الله تعالى ويُبعد عنه، ومعنى لَـعْـنه: بـعده عن نظره تعالى وعن القَبول عنده.. (وقد) قيل: إن الاستثناء فى قوله: ﴿ إلا ذكر الله ﴾ منقطع لأن ذكر الله.. الخ ليس من الدنيا.. (وقيل) يحتمل أن يُـراد به العالَـم السُّـفلى كله، وكل ما له نصيب فى القبول عنده تعالى قد استثنى بقوله: ﴿ إلا ذكر الله ﴾ الخ.. وعلى هذا، فإن الإستثناء متصل.. (والمولاة): يحتمل أن تكون بمعنى المحبة، يعنى إلا ذكر الله وما أحبه الله تعالى مما يجرى فى الدنيا، وأن تكون بمعنى المتابعة.. فالمعنى: ما يجرى على موافقة أمره تعالى ونهيه... وقيل: الهاء فى قوله: (والاه) عائدة على الذكر، والمراد بما والاه أى جانسه وقاربه.. ولا شك أن طاعته تعالى، واتباع أمره، واجتناب نهيه كلها داخلة فيما يوافق ذكر الله تعالى.

وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: يا معشر الأشْـعـرِيِّينَ ليُـبلِّـغ الشاهد الغائبَ، إنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**حُلوة الدنياَ مُـرَّةُ الآخرة، ومُـرَّة الدنيا حُلوة الآخرة**» رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.. وقال شارح الجامع: إسناده صحيح.

---

(١) يعنى إذا قيست بها ونُـسبت إليها.

(٢) يعنى البحر.

قال فى شرح الجامع الصغير: (قال المناوى: يعنى لا تجتمع الرغبة فيها والرغبة فى الله والآخرة، ولا تسكن هاتان الرغبتان فى محل واحد، ولهذا قال روح الله عيسى: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء واحد.

ويحتمل أن يكون المراد بحلوة الدنيا ما تشتهيه النفس فى الدنيا مُـرة، أى: يعاقب عليه فى الآخرة، ومرة الدنيا ما يشق عليها من الطاعات، حلوة الآخرة أى يثاب عليه فى الآخرة).

ولم يكن النبى ﷺ يزهد أصحابه فى الدنيا بأقواله فحسب.. وإنما كان قدوة حسنة لهم فى هذا :

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: « تُـوفـى رسول الله ﷺ، وليس عندى شيء يأكله ذو كَبِـدٍ[1] إلا شَـطْـر شَـعيرٍ[2] فى رَقٍّ لى[3] فأكلتُ منه حتى طال عَـلَـىَّ[4]، فكِـلْـتُهُ فَـفَـنِـى[5] » رواه البخارى ومسلم والترمذى.

وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ: فإن هذا الشطر من الشعير بَـقِـىَ عند عائشة رضى الله عنها تأخذ منه ولا ينقص، ولو أنها لم تَـكِـلْهُ ولم تتحدث به لكفاها آخر الأبد.. ببركة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

وعن عمرو بن الحرث رضى الله عنه قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته

---

(١) أى: حيوان ذو روح إنسانًـا كان أو غيره.

(٢) قيل: هو نصف مكوك، وقيل: نصف وسق..

(٣) أي وعاء من جلد، وفى رواية (رف) بالفاء ولعلها أصح.

(٤) أى: مكث عندى مدة طويلة دون أن ينفد.

(٥) يعنى لما قدرته وأحصته فنى ونفد.

درهَـما ولا دينَـاراً، ولا عبداً، وَلا أمَـةً، ولا شيئًـا إلا بغلته البيضاء التى كان يركَـبُـها[1] وسلاحهُ، وأرضًـا لابن السبيل صدقة. رواه البخارى .

وعن على بن رباحٍ قال: سمعت عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول: لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون فى الدنيا، وكان رسول الله يزهد فيها، والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره إلا كان الذى عليه أكثر من الذى له[2]، قال: فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: قد رأينا رسول الله ﷺ يَسْتَسْلِف[3]. رواه أحمد ورواته رواة الصحيح، والحاكم إلا أنه قال: ما مَـرَّ به ثلاث من دَهره إلا والذى عليه أكثر من الذى له، وقال: صحيح على شرطهما. ورواه ابن حبان فى صحيحه مختصراً:

كان نبيكم ﷺ أزهد الناس فى الدنيا، وأصبحتم أرغبَ الناس فيها.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: تُـوفِّـىَ رسول الله ﷺ: ودِرْعُـه[4] مَرهُـونَـة عند يهودىٍّ فى ثلاثينَ صاعاً من شعير[5]. رواه البخارى ومسلم والترمذى.

أقول: بعد أن صدرت الطبعة الأولى، من: (ميراث رسول الله) ﷺ، ثم نفدت منذ أكثر من عشر سنوات.. كَـتَـب إلىَّ كثير من الإخوة المؤمنين فى مشارق

---

(١) وهى التى أهداها له المقوقس أمير القبط فى مصر، وكانت تسمى دلدل.

(٢) أى: ما مرت عليه ليلة واحدة من أيام عمره إلا كان الذى عليه من الديون التى كان يقترضها لصالح الفقراء والمساكين أكثر من الذى له.

(٣) استسلف المال: أى اقترضه.. بلا فائدة لصالح ـ المقرض..

(٤) الدرع:: قميص من زرد الحديد تلبس وقاية من سلاح العدو وهى مؤنثة وقد تذكر.

(٥) أى: على هذا القدر من الشعير اقترضه منه عليه السلام ودفع له درعه ضمانًـا للوفاء.

الأرض ومغاربها.. بالإضافة إلى مَـن ألتقى بهم منهم فى لقاءاتى الدينية.. يطلبون منى ضرورة أن أعَّـجل بإصدار طبعة ثانية من هذا الكتاب المبارك الذى وجدوا فيه ضالـتـهم من العلم النافع المتعلق بالمساجد وتعميرها، والصلاة وأدائها، والقرآن وما يرتبط به وبقراءته من آثار وأخبار، وكذلك ما يتعلق بموضوع الحلال والحرام الذى يجهله الكثيرون.. من هؤلاء الذين لا صلة لهم بمجالس العلم النافع:

ولولا العلمُ ما سَـعـدِتْ نفوس

ولا عُـرِفَ الحلالُ من الحرام

** ولهذا، فقد رأيتُ.. بعد أن استخرت الله تعالى.. أن أقوم بإصدار الطبعة الثانية من الميراث المحمدى.. بعد أن قمت بتزويده وتنقيحه.. بتلك الصورة الجديدة التى سيفرح بها الأخ المسلم والأخت المسلمة فرحًـا كبيراً... أرجو أن يكون سبباً فى أن يدعـوا لى.. بالتوفيق والشفاء.. بل وطول البقاء.. حتى أستطيع أن أواصل نشر هذا العلم النافع الذى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله منى، وأن يجعله فى صحيفة حسناتى.. وحسنات كل من تعاونوا معى على نشره، والحرص على تعليم الناس منه.

هذا، وإذا كان لى أن أقول شيئاً فى ختام هذا التقديم الهام.. فإننى أُقَـدم الشكر للإخوة الفضلاء أصحاب (الدار المصرية اللبنانية) الذين أسهموا مساهمة كبيرة وفـعّـالة فى تجهيز هذا الكتاب وإخراجه.. كما وعدوا بالمساهمة كذلك فى نشر هذا العلم النافع فى كل مكان على وجه الأرض.. فالله أسأل أن يبارك لنا فيهم.. وأن يجزيهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.. والله ولى التوفيق.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

طه عبد الله العفيفي

أول المحرم ١٤١٤ هـ

٢١ يونيو ١٩٩٣م

تمهيد

أيها الأخ المسلم.. لعلك عندما قرأت عنوان هذا الكتاب الذى بين يديك، وهو: (ميراث رسول الله ﷺ).

تساءلت بينك وبين نفسك: هل ترك الرسول ﷺ ميراثـًا دنيويـا؟.

فإذا كان هذا هو تساؤلك، فإننى أرى أن أُجيبك أولاً وسريعاً بهذا المضمون الذى جاء فيه[1]:

أن النبى ﷺ، مات ولم يترك درهماً ولا ديناراً، بل ترك درعة مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعـًا من الشعير.

وقد ورد ذلك فى أحاديث منها:

حديث عمرو بن الحارث، قال: **«ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة»**.

(أخرجه البخارى والنسائى والترمذى فى الشمائل)[2].

وحديث عائشة، قالت: **«ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً ولا أوصى بشىء»**.

(أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى)[3].

---

(١) كما جاء فى الدين الخالص ج ٧ تحت عنوان: (ما تركه النبى ﷺ) ص ١٧٧.

(٢) انظر ص ١٠٥ ج ٨ فتح البارى، ص ٢٥٣ شمائل.

(٣) انظر ص ٨٩ ج١ نووى، ص ٧١ج٣ عون المعبود.

وحديث ابراهيم النخعى عن الأسود بن يزيد عن عائشة رضى الله عنها قالت: **«توفى النبى ﷺ ودرعهُ مرهونة عند يهودى بثلاثين - يعنى صاعًا - من شعير»**.

(أخرجه البخارى)[1].

وحديث عائشة، قالت: **«تُوفى رسولُ الله ﷺ، وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير[2] فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكِلْتُه ففَنِىَ»** (أخرجه الشيخان)[3].

وحديث ابن شهاب، قال: **«أخبرنى عروة أن عائشة قالت: كانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة»**[4].

---

(١) انظر ص ١٠٧ ج٨ فتح البارى.

(٢) قيل: كان نصف وسق، وقيل: نصف مكوك وهو أحد عشر رطلا وربع رطل.

(٣) انظر ص ١٢٨ ج٦ فتح البارى.

(٤) أما خيبر (فقد قال سهل بن أبى حثمة: قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين: نصفاً لنوائبه وحاجته، ونصفا بين المسلمين. قسمها. بينهم على ثمانية عشر سهماً. أخرجه أبو داود بسند صحيح. انظر ص ١١٩ ج٣ عون المعبود (حكم أرض خيبر). وأما فَدَك - بفتحات - وهى بلد بين المدينة وخيبر على ثلاث مراحل من المدينة - فإن أهلها لما بلغهم فتح خيبر طلبوا من النبى ﷺ الأمان على أن يتركوا البلد ويرحلوا فأجابهم. فكانت فدك فيئا له خاصة لأنها فُتحت بلا إيجاف خيل.. وأما صدقته ﷺ بالمدينة، فهى المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿ ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾(*) يقول بغير قتال، فأعطى النبى ﷺ أكثرها للمهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوى حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما. وبقى منها صدقة رسول الله ﷺ التى فى أيدى بنى فاطمة رضى الله عنها. أخرجه أبو داود انظر ص ١١٦ ج٣ عون المعبود (خبر بنى النضير).

(*) الحشر: من الآية ٦.

فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال: «لستُ تاركاً شيئا، كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به. إنى أخشى إن تركتُ شيئا من أمره إن أزيغ. فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى على وعباس. وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ، كانتا لحقوقه التى تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولى الأمر». قال: فهما على ذلك إلى اليوم. (أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائى)[1].

وحديث عائشة رضى الله عنها، أن أزواج النبى ﷺ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبى بكر فى ميراثهن. فقالت عائشة: **«أليس قد قال النبى ﷺ: لا نورث ما تركنا فهو صدقة»**

(أخرجه مالك والشيخان وأبو داود)[2].

وحديث أبى هريرة، قال: **«جاءت فاطمة إلى أبى بكر رضى الله عنه، فقالت: من يرثك؟ فقال: أهلى وولدى. فقالت: مالى لا أرثُ أبى؟ فقال أبو بكر: سمعت النبى ﷺ، يقول: لا نورث. ولكنى أعولُ من كان النبى ﷺ يعولهُ، وأنفق على من كان النبى ﷺ يُنفق»**.

(أخرجه الترمذى فى الشمائل»[3].

ثم يقول فى الدين الخالص بعد ذلك:

هذا.. والحكمة فى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يُورثون أنهم خـزان الله. والخازن لا يملك إلا قوته. وغيرهم مُـرتزقون. فمن أعطى رزقاً ملكه، فإذا

(١) انظر ص ١٢٣ جـ٦ فتح البارى.

(٢) انظر ص٥ جـ١٢ فتح البارى.

(٣) انظر ص ٢٥٤ المواهب اللدنية.

مات الخازن لم ترثه ورثته لعدم قيامهم مقامه إلا أن يكون من خلفه نبى فهو أمين الله بعد والده.

وقيل: الحكمة فى ذلك أنه لا يؤمن أن يكون فى الورثة من يتمنى موت النبى فيهلك. ولئلا يظن بالأنبياء الرغبة فى الدنيا لورثتهم فيهلك الظان[1].

وقيل: لأن النبى ﷺ كالأب لأمته فيكون ميراثه للجميع. وهذا معنى الصدقة العامة. ووجهه أن الله تعالى بعث الأنبياء مبلغين رسالته وأمرهم ألا يأخذوا على ذلك أجراً، قال تعالى: ﴿ **قُل لا أسألكمْ عليهِ أجراً إلا المودةَ فى القربَى** ﴾[2].

وقال نوح وهود وغيرهما نحو ذلك، فكانت الحكمة فى ألا يورثوا لئلا يُظن أنهم جمعوا المال لورثتهم.

وقوله تعالى: ﴿ **وورث سليمانُ داود** ﴾[3] محمول على العلم والحكمة، وكذا قول زكريا: ﴿ **فهبْ لى من لدنكَ ولياً • يرثُنى** ﴾[4]: وبهذا، قال الأئمة الأربعة والجمهور ويؤيده ما روى سفيان بن عيينة عن أبى الزناد أن النبى ﷺ، قال: «**إنا معاشرَ الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة**».

(أخرجه النسائى، وأخرجه الدارقطنى فى العلل من رواية أم هانىء عن فاطمة الزهراء عن أبى بكر الصديق، بلفظ: «**إن الأنبياء لا يورثون**»[5].

ومن كل هذا، نفهم جميعاً، بل ويتأكد لنا، أن النبى ﷺ، لم يترك ميراثاً

(١) انظر ص ٧٢ ج١٢ نووى (حكم الفىء).

(٢) الشورى: الآية ٢٣.

(٣) النمل: من الآية ١٦.

(٤) مريم من الآيتين ٥، ٦.

(٥) انظر ص٦ ج١٢ فتح البارى.

دنيويــا يُــذكر، وإنما ترك ميراثا أُخرويــا، لكل فرد من أفراد أُمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذا هو موضوعنا فى هذا الكتاب الذى سندور فيه حول هذا الميراث المحمدى الذى كلنا وبدون استثناء فى أشد الحاجة إليه حتى نسعد فى دنيانا وأخرانا.

وقد يسأل الأخ المسلم الآن وبعد هذا التمهيد: إذن.. فما هو هذا الميراث الذى تركه رسول الله ﷺ؟.

فيكون الجواب على سؤاله هذا، هو هذا النص الآتى:

ميراث رسول الله ﷺ

روى عن أبى هريرة أنه مر ذات يوم بسوق المدينة ـ وقد هاله انشغال الناس فى الدنيا ـ فوقف عليها، فقال: يا أهل المدينة ما أعجزكم!!

قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُـقَـسَّـمُ وأنتم ههنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟..

قالوا: وأين هو؟ قال: فى المسجد.

فخرجوا سِـراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم مالكم؟

قالوا: يا أبا هريرة.. فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئًـا يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم فى المسجد أحداً؟

قالوا: بلى.. رأينا قوماً يُـصلون، وقوماً يقرأون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام.

فقال لهم أبو هريرة: ويحكم.. فذاك ميراثُ محمد ﷺ!!.

(مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج١، رواه الطبراني في معجمه الأوسط، وإسناده حسن).

* * *

وهذا النص بهذا الحوار الجيد.. يشير إلى ملاحظة هامة: وهي أن أبا هريرة رضي الله عنه أراد أن يلفت قلوب إخوانه من الأصحاب إلى أن ما يتكالبون عليه من حطام الدنيا لا وزن له عند الله تبارك وتعالى إذا لم يكن مصحوباً بالأعمال الصالحة التي بها سيجدون النعيم الدائم في جنة الخلد التي وعد الله بها عباده الصالحين.. كما قال تعالى مشيراً إلى هذا:

﴿ **إن الذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحات كانتْ لهمْ جناتُ الفردوسِ نُزُلاً خالدينَ فيها لا يبغونَ عنها حولاً** ﴾: فكان ما كان من أمر هذا التوجيه الإيجابي الذي كان في صورة هذا الحوار.. الذي كان سبباً في إسراعهم إلى المسجد حتى يحصلوا على شيء من هذا الميراث الذي تصوروه متاعًا دنيويًا.. وكان أيضا ما كان من أمر هذا الدرس العظيم الذي أرجو أن نستفيد به، وهو:

درس لابد وأن نستفيده من أبي هريرة رضي الله عنه

أن أبا هريرة رضي الله عنه، كان تلميذاً نجيباً من تلاميذ الرسول ﷺ. فلما تخرج من مدرسته ﷺ، كان بعد ذلك أُستاذاً يُقتدى به، ويُستفاد بعلمه.

وهو هنا في هذا الحوار الذي دار بينه وبين التُّجار في السوق، يعلمنا كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى، وكيف يكون الوعظ بالحكمة والموعظة الحسنة.

وما أحوجنا جميعاً ـ نحن الوعاظ بصفة خاصة ـ إلى أن نتعلم من أبي هريرة رضي الله عنه هذا الدرس المستفاد، الذي لو طبقناه، لانتشر العلم النافع في كل

مكان، ولكان الإقبال على مجالسه أكثر بكثير من هذا الإقبال الذى نراه فى زماننا هذا.

* * *

ثم كان المسجد هو المكان الطبيعى لهذا الميراث المحمدى، كما جاء فى حوار أبى هريرة رضى الله عنه، وبدليل ما جاء فى حديث الرسول ﷺ الذى يقول فيه:

«... ومن سلكَ طريقًا يلتمس[١] فيه علماً سَهَّل اللهُ له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه[٢] بينهم إلا حفتهم[٣] الملائكة، ونزلت عليهم السكينة[٤] وغشيتهم[٥] الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده»[٦] (من حديث صحيح). رواه مسلم : فإننى أُذَكِّر الأخ المسلم.. بهذه:

الآداب المتعلقة بالمسجد

والتى منها، أنه:

ينبغى أو يُسن الدعاء حين التوجه إلى المسجد بما جاء فى نص الأحاديث الآتية:

---

(١) أى يطلب.

(٢) أى يتفهمون معانيه ويتدبرون مقاصده.

(٣) أى أحاطت بهم وقعدت حولهم.

(٤) أى غطتهم وغمرتهم.

(٥) أى الأمن والطمأنينة.

(٦) أى الملائكة.

قالت أم سلمة: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته، قال **«بسم الله[1] توكلتُ على الله، اللهم إنى أعوذ بك أن أضلَّ أو أُضل، أو أذلَّ أو أُذل، أو أظلمُ أو أظلم، أو أجهلَ أو يُجهل علىّ».**

(رواه أصحاب السنن وصححه الترمذى)

وروى أصحاب السنن الثلاثة وحسنه الترمذى. عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: حسبك.. هُديتَ، وكُفيتَ ووُقيتَ، وتَنَحَّى عنه الشيطان».**

وروى البخارى ومسلم، عن ابن عباس أن النبى ﷺ خرج إلى الصلاة، وهو يقول: **«اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى بصرى نوراً، وفى سمعى نوراً، وعن يمينى نوراً، وخلفى نوراً، وفى عصبى نوراً، وفى لحمى نوراً، وفى دمى نوراً، وفى شعرى نوراً، وفى بشرى نوراً».**

وفى رواية لمسلم: **«اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى لسانى نوراً، واجعل لى فى سمعى نوراً، وفى بصرى نوراً، واجعل من خلفى نوراً، ومن أمامى نوراً، واجعل من فوقى نوراً، ومن تحتى نوراً، اللهم أعطنى نوراً».**

* * *

ويُسن لمن أراد دخول المسجد أن يدخل برجله اليُمنى، ويقول: **«أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. بسم الله.. اللهم صل على محمد، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك».**

وإذا أراد الخروج خرج برجله اليسرى، ويقول: **«بسم الله.. اللهم صل**

(١) يجوز الدعاء بهذا سواء كنت خارجا إلى المسجد أو إلى غير المسجد.

على محمد، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك، اللهم اعصملى من الشيطان الرجيم».

وقد ورد فى هذا بعض الأحاديث التى منها:

حديث أنس أن النبى ﷺ كان إذا دخل المسجد، قال: «**اللهم صل على محمد**».

وإذا خرج، قال: «**بسم الله.. اللهم صل على محمد**» (أخرجه ابن السنى).

وحديث فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الزهراء، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد، قال: «**بسم الله.. والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك**». وإذا خرج قال: «**بسم الله.. والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك**».

(أخرجه أحمد وابن ماجه والطبرانى والترمذى[1]، وقال: حديث حسن).

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ كان إذا دخل المسجد، قال: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. وقال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ منى سائر اليوم**»

(أخرجه أبو داود بسند جيد)

* * *

(١) وأخرج ابن أبى شيبة والترمذى وابن ماجه بلفظ: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد يقول: (بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك) وأخرجه ابن مردويه فى كتاب الأدعية من حديث فاطمة، وزاد بعد قوله والصلاة والسلام على رسول الله: اللهم صل على محمد وآل محمد.

ويطلب ممن دخل المسجد غير الحرام[1] ألا يجلس حتى يصلى ركعتين تحية المسجد:

فعن أبى قتادة أن النبى ﷺ، قال: «**إذا جاء أحدكم المسجد فليصل سجدتين[2] من قبل أن يجلس**»

(أخرجه أحمد والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والبيهقى، وكذا الأثرم فى سننه، بلفظ:

«**أعطوا المساجد حقها.. قالوا: وما حقها؟ قال: تصلوا ركعتين قبل أن تجلسوا**»

(وأخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة، بلفظ)

«**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين**».

وأخرجه البيهقى فى السنن وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب، الايمان عن أبى هريرة، بلفظ:

«**إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يركع ركعتين**».

وإذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين، فإن الله جاعل له من ركعتيه فى بيته أجرًا».

وأخرج ابن أبى شيبة فى مصنفه عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال:

«**أعطوا المساجد حقها، ركعتان قبل أن تجلسوا**».

قال فى الدين الخالص (ج٣): وهذه الأحاديث تدل على مشروعية تحية المسجد فى كل وقت حتى وقت خطبة الجمعة، وبه قال الشافعية، وابن عيينة،

---

(١) لأن تحية المسجد الحرام: هى الطواف حول الكعبة.

(٢) أى ركعتين.

وابن المنذر، وداود، واسحاق بن راهويه، والحسن البصرى، لعموم هذه الأحاديث.

ولحديث جابر بن عبد الله، قال: جاء سليك الغطفانى يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب، فجلس، فقال له: **«يا سليك.. قم فاركع ركعتين وتجوز[1] فيهما»**. ثم قال: **«إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما»**

أخرجه الشيخان وكذا الطبرانى فى الكبير بلفظ:

«صل ركعتين تجوز فيهما. وإذا جاء أحدكم والإمام يخطب يوم الجمعة فليصل ركعتين وليخففهما».

وقالت الحنابلة: تسن وقت الخطبة، وتحرم فى أوقات النهى[2] ولا تنعقد.

وقال الحنفيون، وابن سيرين، وعطاء بن أبى رباح، والليث، وشريح، والأوزاعى: تكره تحية المسجد فى أوقات النهى وحال خطبة الجمعة.

وقالت المالكية: تكره بعد صلاة الصبح والعصر، وتحرم حال الخطبة ووقت طلوع الشمس وغروبها[3].

كما يقول أيضاً فى الدين الخالص[4]: ولا تفوت التحية بالجلوس ولو طال عند الحنفية والمالكية، لما تقدم أن النبى ﷺ أمر سلَيكاً بالصلاة بعد جلوسه.

---

(١) أى يخففهما.

(٢) وهى الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس.. باستثناء ما له سبب من الصلوات.

(٣) ارجع إلى هذا الموضوع بالتفصيل فى الدين الخالص ج٣ ص ٢٨٦ وكتب الفقه المطولة.

(٤) ج٣ بتصرف ص ٢٨٦.

ولحديث أبى ذر أنه دخل المسجد، فقال له النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أركعت ركعتين**»؟ قال: لا. قال: «**قم فاركعهما**»

(أخرجه ابن حبان)

وقالت الشافعية: لا تفوت بالجلوس سهواً أو نسيانـًا. وتفوت بالجلوس عمداً ولو قـصـر ولا يـشرع قضاؤها، (ورده) الحافظ ابن حجر بحديث أبى ذر وقصة سليك، ثم قال: ويحتمل أن يحمل مشروعيتها بعد الجلوس على ما إذا لم يطل الفصل أ هـ.

وقالت الحنابلة: لا تفوت إلا بالجلوس الطويل.

وتكرر بتكرر دخول المسجد عند الشافعية، لظاهر الأحاديث.

وقالت الحنفية: لا تتكرر بتكرر الدخول، بل يكفيه ركعتان لها فى اليوم.

وقالت المالكية: إن رجع عن قرب كفته الأولى وإلا كررها.

وقالت الحنابلة: تسن تحية المسجد لكل داخل فى غير وقت النهى قبل أن يجلس إذا كان متطهراً. وتتكرر بتكرر الدخول لغير مقيم بالمسجد تكرر دخوله، وغير داخل لصلاة العيد فيه لعذر كمطر، وغير خطيب دخل للخطبة، لأن المطلوب منه أن يصعد المنبر عند دخوله اقتداء بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

* * *

ثم بعد ذلك يشير فى الدين الخالص إلى بعض الملاحظات الهامة المتعلقة بتحية المسجد: فيقول:

قال فى الهدى: كان من هدى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الداخل إلى المسجد يبتدىء بركعتين تحية للمسجد ثم يسلم على القوم. فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله، فإن تلك حق الله تعالى، والسلام على الخلق حق لهم، وحق الله تعالى فى مثل هذا أحق بالتقديم، بخلاف الحقوق المالية فإن فيها

نزاعاً معروفاً عند الفقهاء، وكانت عادة القوم معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هكذا: يدخل المسجد فيصلى ركعتين ثم يسلم على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

ففى حديث رفاعة بن رافع أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بينما هو جالس فى المسجد يوماً ونحن معه إذ جاءه رجل كالبدوى فصلى فأخف صلاته، ثم انصرف فسلم على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم. فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«وعليك السلام.. أرجع فصل فإنك لم تصل»**

(أخرجه مالك، وأحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داوود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه).

فأنكر صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاته ولم ينكر عليه تأخير السلام عليه بعد الصلاة.

وعلى هذا.. فيسن لداخل المسجد إذا كان فيه جماعة ثلاث تحيات مرتبة:

أن يقول عند دخوله: **«بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله»**، ثم يصل ركعتين تحية للمسجد، ثم يسلم على القوم أهـ بتصرف.

ما تقدم من طلب صلاة تحية المسجد إنما هو فى غير المسجد الحرام، أما هو[1] فتحيته الطواف، إلا لمن أراد الجلوس قبل الطواف، فإنه يشرع له أن يصلى تحية المسجد.

يسن للقادم من سفر أن يبدأ بالمسجد فيصلى به ركعتين، لقول كعب بن مالك: كان النبى ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين.

(أخرجه الشيخان)

---

(١) أى المسجد الحرام.

ولقول جابر: كنت مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الغزاة واشترى منى جملاً بأوقية ثم قدم قبلى، وقدمت بغداتى فوجدته على باب المسجد، قال: «**الآن قدمت**»؟ قلت: نعم.. قال: «**فادخل فصل ركعتين**».

(أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائى)

وينبغى لمن يدخل المسجد لصلاة أو غيرها أن ينوى الإعتكاف مدة إقامته فى المسجد حتى يفوز بثواب هذا الإعتكاف الجزئى الذى إن قبله الله تعالى منه كان ثقـلاً فى ميزانه يوم القيامة.

هذا.. وإذا كنت قد أشرت إلى بعض الآداب المتعلقة بالمسجد، فإننى أرى كذلك إتماماً للفائدة أن أذكرك ببعض:

المكروهات المتعلقة بالمسجد

والتى منها، أنه:

يكره تشبيك الأصابع عند الخروج إلى الصلاة، وفى المسجد عند انتظارها، ولا يكره فيما عدا ذلك، ولو كان فى المسجد:

فعن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبكن بين أصابعه فإنه فى صلاة**»

(رواه أحمد، وأبو داود والترمذى)

وعن أبى سعيد الخدرى، قال: دخلت المسجد مع رسول الله ﷺ، فإذا رجل جالس وسط المسجد محتبياً مشبكاً أصابعه بعضها على بعض فأشار إليه رسول الله ﷺ فلم يفطن لإشارته. فالتفت رسول الله ﷺ، فقال: «**إذا كان أحدكم فى المسجد فلا يشبكن فإن التشبيك من الشيطان**[1]، **وإن أحدكم لايزال**

(١) ولأنه يجلب النوم وهو من مظان الحدث.

فى صلاة ما كان فى المسجد حتى يخرج منه».

(رواه أحمد)

ويكره لمن بهَ بَـخَـر وصِـنَـان قوى دخول المسجد وحضور الجماعات. لما يترتب على ذلك من إيذاء الناس والملائكة، بل ينبغى أن يَـحرم، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**».

(أخرجه الشيخان من حديث جابر)

ولهذا.. فإنه يلزم صيانة المسجد عن الروائح الكريهة[1]، فيحرم، على من تناول ذا رائحة كريهة كثوم وبصل دخول المسجد قبل إزالتها:

لحديث جابر أن النبى ﷺ، قال: «**من أكل الثوم والبصل والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكةُ تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**».

(أخرجه الشيخان)

وكذا أحمد بلفظ: «**من أكل ثوماً أو بصلا فليعتزلنا**».

أو قال: «**فليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته**».

(وأخرجه النسائى والترمذى)

والمراد: تناول ما ذكر وهو نيء لأنه ذو الرائحة الخبيثة المؤذية، بخلاف ما إذا كان مطبوخاً فلا يشمله النهى، لذهاب تلك الرائحة منه.

ولقول على رضى الله عنه: «**نهى عن أكل الثوم إلا مطبوخاً**».

---

(١) بل على العكس من ذلك فإنه يسن لمن أراد دخول المسجد بصفة خاصة أن يتطيب بعد أن يتطهر حتى لا يكون منفرا لغيره من المصلين.

ولحديث معاوية بن قرة عن أبيه أن النبى ﷺ نهى عن هاتين الشجرتين ـ يعنى الثوم والبصل ـ وقال: «**من أكلهما فلا يقربن مسجدنا**».

وقال: «**إن كنتم لابد آكليهما فأنضجوهما طبخاً**».

(أخرجهما أبو داود)

وقد خطب عمر يوم جمعة فقال فى خطبته: ثم انكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: البصل والثوم. لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا وجد ريحهما من الرجل فى المسجد، أمر به فأخرج إلى البقيع[1]. فمن أكلهما فليـمِـتْـهما طبخاً[2].

(أخرجه أحمد ومسلم والنسائى)

والنهى هذا، عام فى كل المساجد والجامع، والمعنى: فلا يقربن مساجد المسلمين. (ويؤيده) حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال:

«**من أكل من هذه الشجرةً فلا يأتين المساجد**».

(أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود)

ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ماله رائحة كريهة كالفجل إذا كان آكله يتجشأ، ومن به بخر[3] أو جرح له رائحة.

ويلحق به كذلك الدخان.. فإن شاربه كما هو معلوم لنا تنبعث من فمه رائحة كريهة منفرة.

---

(١) وهى مدافن المدينة المنورة.

(٢) أى لاذهاب قوته وحدته.

(٣) البخر بفتحتين: الرائحة الكريهة تخرج من الفم.

هذا مع ملاحظة: أن أكل هذه الأشياء مباح إلا أنه يتحتم على من أكلها البعد عن المسجد ومجتمعات الناس حتى تذهب رائحتها. أما شرب الدخان، وما إلى ذلك من المسكرات والمفترات، فهو حرام لأنه مضر بالصحة ومتلف للمال، والله تعالى يقول: ﴿ .. **ولا تلقُوا بأيديكمْ إلى التهلكةِ** ﴾[1] ويقول: ﴿ **ولا تبذرْ تبذيراً • إن المبذرينَ كانوا إخوانَ الشياطينِ** ﴾[2].

ويكره إخراج الريح فى المسجد اختياراً، صوناً له عن الرائحة الكريهة، ولما يترتب عليه من إيذاء من فى المسجد:

ولحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ، قال: «**إن الملائكةُ تصلى على أحدكمْ مادامَ فى مصلاهَ الذى صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهمْ ارحمه**».

(أخرجه الشيخان، وأبو داود والنسائى، وكذا ابن ماجة من حديث أبى صالح:

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «**إن أحدكم إذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم مادام فى مجلسه الذى صلى فيه، يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه ما لم يحدث فيه، ما لم يؤذ فيه**».

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) الإسراء: ٢٦ ، ٢٧.

وقد أفتى أحد العلماء العاملين ـ عليه رحمة الله ـ بأن شاربَ الدخان يعتبر منتحراً.. لأنه يقتل نفسه قتلاً بطيئاً.. ثم قال بعد ذلك: لو ثبت بعد موته أنه مات بسبب شرب الدخان.. فإنه سيكون قد مات كافراً (والعياذ بالله).. والله أعلم.

ولحديث أبى رافع عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: قال: «**لا يزال العبد فى صلاة مادام فى مصلاه ينتظر الصلاة، تقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. حتى ينصرف أو يحدث**»، فقيل: وما يحدث؟ قال: «**يفسو، أو يضرط**».

(أخرجه مسلم وأبو داود)

ويكره تحريماً[1] رفع الصوت فى المسجد بنشد الضالة.

لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**من سمع رجلاً ينشد ضالة فى المسجد، فليقل: لا أداها الله إليك، فإن المساجد لم تبن لهذا**».

(أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجة)

ولا يجوز رفع الصوت فى المسجد ولو بالقرآن والذكر:

لقول أبى سعيد الخدرى: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر، وقال: «**ألا أن كلكم مناجٍ ربهُ، فلا يؤذين بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض فى القراءة**».

(أخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائى، والبيهقى، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين).

ويستثنى من ذلك درس العلم.

---

(١) المكروه تحريماً: ما كان إلى الحرام أقرب. والمكروه تنزيها هو ما كان إلى الحلال أقرب.
فأرجو من الأخ المسلم أن يتجنب كل مكروه.. وأن لا يفعل إلا المستحبات الحسية والمعنوية...

وعلى هذا.. اتفقت كلمة الفقهاء، قال فى الدر المختار:

يحرم فى المسجد رفع الصوت بذكر إلا للمتفقهه أهـ.

وقال النووى: يجوز التحدث بالحديث المباح فى المسجد وبأمور الدنيا وغيرها من المباحات، وإن حصل فيه ضحك ونحوه مادام مباحاً:

لحديث جابر بن سمرة، قال: **«كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام».**

قال: **«وكانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم»** (أخرجه مسلم)

وقال النووى: ثبت أن أصحاب الصُّفَّة والعرنيين وعليّا وصفوان بن أميَّة وجماعات من الصحابة كانوا ينامون فى المسجد. وأن ثمامة كان يبيت فيه قبل إسلامه. كل ذلك فى زمن رسول الله ﷺ.

قال الشافعى فى الأم: وإذا بات المشرك فى المسجد فكذا المسلم.

وقال فى المختصر: ولا بأس أن يبيت المشرك فى كل مسجد إلا المسجد الحرام.
وقال عبد الله بن الحارث: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ فى المسجد الخبز واللحم. (رواه ابن ماجة بسند حسن).

ويكره لمن بالمسجد إسناد ظهره للقبلة، بل السنة أن يستقبلها فى جلوسه[1]:

لحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ، قال: **«إن لكلِ شىءٍ سيداً، وإن سيدَ المجالسِ قبالةِ القبلة»** (أخرجه الطبرانى بسند حسن).

ولحديث ابن عمر أن النبى ﷺ، قال: **«أكرم المجالسُ ما استقبل به القبلة»**.

(أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأخرجه هو وابن عدى عن ابن عباس).

---

(١) أى أن يتجه إليها بوجهه.

وعنه أن النبى ﷺ، قال: «**أشرف المجالس ما استقبل به القبلة**».

(أخرجه الطبرانى)

ولا يجوز أخذ شيء من أجزاء المسجد كحجر وحَصاة وتراب وغيرها، كالزيت والشمع الذى يسرج فيه:

لحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ، قال: «**إن الحصاة لتناشد[1] الذى يُخرجها من المسجد**».

(أخرجه أبو داود)

ولقول سعيد بن جبير: الحصاة تسب وتلعن من يُخرجها من المسجد.

وقول سليمان بن يسار: الحصاة إذا أخرجت من المسجد تصيح حتى ترد إلى موضعها.

قال فى الدين الخالص: وفيما ذكر التنفير من إخراج الحصى من المسجد، ومحله فى المساجد غير المفروشة، أما المفروشة فيطلب تنقيتها من الحصى ونحوه، لما يترتب على بقائه فيها من تعفيش المسجد وضرر المصلى بالسجود عليها.

---

(١) أى تسأل وتقسم على من يخرجها من المسجد أن لا يخرجها منه لأنها لا تحب مفارقته، لأنه محل العبادة والرحمة.

وإذا كانت الحصاة تفعل هذا لأنها لا تحب مفارقة المسجد.. فإننا نرجو أن نكون نحن كذلك أكثر حُبًّا للمسجد.. لأن المسجد هو بيت الله تعالى الذى يقول: (إن بيوتى فى الأرض المساجد وزوارى فيها عمارها، فطوبى لمن تطهر فى بيته وزارنى فى بيتى، وحق على المزور أن يكرم زائره).

مع ملاحظة أنه ليس من الإسلام أن نقيم فى المسجد إقامة كاملة.. دون أن نخرج منه لأداء أعمالنا الدنيوية.. لأن هذا سيكون من التواكل الذى لا يقره الإسلام ولا يوافق عليه.

وقد ورد الترغيب فى تنظيف المسجد:

فعن عائشة أن النبى ﷺ، أمر ببناء المساجد فى الدور، وأمر بها أن تنظف وتطيب.

(رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وابن حبان بسند جيد)

ولفظ أبى داود: **«كان يأمرنا بالمساجد أن نصنعها فى دورنا، ونصلح صنعتها ونطهرها، وكان عبد الله يجمر[1] المسجد إذا قعد عمر على المنبر»**.

وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«عرضت علىّ أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد»**.

(رواه أبو داود، والترمذى، وصححه ابن خزيمة)

ويكره تحريما إلقاء القمل ودفنه حيًّا فى المسجد:

لحديث الحضرمى ابن لاحق عن رجل من الأنصار أن رسول الله ﷺ، قال: **«إذا وجد أحدكم القملة فى ثوبه فليصرها ولا يلقيها فى المسجد»**.

(أخرجه أحمد بسند رجاله ثقات). وأخرجه البيهقى بلفظ:

«إذا وجد أحدكم القملة وهو يصلى فلا يقتلها، ولكن يصرها حتى يصلى».

قال فى الدين الخالص ج٣: (أما دفنه) فى المسجد بعد قتله فلا بأس به لقول أبى مسلم: دخلت على أبى أمامة وهو يتفلى فى المسجد ويدفن القمل فى الحصى[2].

(١) أى مكان يطلق البخور فى المسجد لانتشار الرائحة الذكية فيه.

(٢) الحديث أخرجه أحمد والطبرانى بسند جيد.

ولقول مالك بن يخامر: رأيت معاذ بن جبل يقتل القمل والبراغيث فى المسجد[١].

* * *

والآن أخا الإسلام، وبعد أن وقفت على أهم المندوبات والمكروهات المتعلقة بالمسجد، والتى رأيت أن أوقفك عليها قبل أن تذهب إلى المسجد، حتى تكون على علم بها ومنفذاً لها، وحتى تكون أهلاً لميراث رسول الله ﷺ:

إليك الركن الأول من هذا الميراث ـ المشار إليه فى حوار أبى هريرة ـ وهو:

الصـــلاة

التى جعلها الله صلة بينه وبين عبده المؤمن، كما جعلها نوراً يسير المؤمن على هداه فى دنياه إلى آخره:

قال رسول الله ﷺ:

«الطهور[٢] شطر[٣] الإيمان، والحمدُ للهِ تملأُ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السماواتِ والأرض، والصلاةُ نور، والصدقةُ برهان، والصبرُ ضياء، والقرآنُ حجةَ لك أو عليك كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها»[٤].

(رواه مسلم)

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات.

(٢) أى التطهر بضم الطاء، وبفتح الطاء ما يتطهر به من ماء أو تراب.

(٣) الشطر: هو النصف.

(٤) أى مهلكها.

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**من مشى فى ظلمة الليل إلى المساجد أتاه الله نوراً يوم القيامة**».

(رواه ابن حبان باسناد حسن)

وعن أبى الدرداء ـ أيضا ـ أن رسول الله ﷺ، قال: «**من مشى فى ظلمة الليل إلى المسجد لقى الله عز وجل بنور يوم القيامة**».

(رواه الطبراني)

* * *

وحسب المؤمن أن يعلم أنه إذا خرج من بيته متوضئـًا كان ذلك تطهيراً له، وكان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة[١] .

فعن عبد الله الصُّنابحى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا توضأ العبد فمضمض[٢] خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر[٣] خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه، فإذا مسح برأسه، خرجت الخطايا من رأسه، حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له**».

(رواه مالك وأحمد والنسائى والحاكم. وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين. وليس له علة).

---

(١) أى زائدة.

(٢) أى فتمضمض.

(٣) أى أخرج الماء من أنفه بيده اليسرى.

وعن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن الخصلةُ الصالحة تكون فى الرجل يصلح الله بها عمله كله وطهور الرجل لصلاته يكفر الله به ذنوبه[1] وتبقى صلاته له نافلة**».

(أخرجه أبو يعلى)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات**»؟. **قالوا: بلى يا رسول الله.. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره[2]، وكثرة الخُطايا إلى المساجد، وانتظار الصلاةِ بعد الصلاة، فذلكم الرباط.. فذلكم الرباط**».

(رواه الترمذى ومسلم)

ومعنى ذلك أن المواظبة على الطهارة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة: يعدل الجهاد فى سبيل الله:

وتلك ثروة عظيمة من الثواب لابد وأن يغتنمها ويستفيد بها كل مؤمن يعرف قيمة الوقت وقيمة العمل الصالح، كما يشير الأثر القائل:

«**ما من يوم تطلع الشمس فيه إلا وهو ينادى يا ابن آدم أنا خلقٌ جديد، وعلى عملك شهيد، فأغتنم منى، فإنى لن أعود إلى يوم القيامة**».

ولله در على رضى الله عنه، فلقد قال أيضا مشيراً إلى هذا: «**من أمضى يومه فى غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد بناه، أو حمد حَصّله، أو علم اقتبسه، فقد عقّ يومه وظلم نفسه**».

---

(١) أى ذنوبه الصغائر، أما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة الصادقة.

(٢) إسباغ الوضوء: أى إتمامه على المكاره أى على الرغم من وجود ما يكره معه استعمال الماء كالبرد وغيره.

ولهذا.. فإن المؤمن تراه دائماً وأبداً حريصاً على اغتنام كل لحظة فى حياته فى طاعة الله تعالى، ولا سيما بالنسبة للصلاة التى تراه متهيئاً لها، ومستعداً لأدائها فى بيوت الله وجماعة مع إخوانه المسلمين، كلما حان وقت الصلاة، ونادى المؤذن بقوله: حى[1] على الصلاة، حيَّ على الفلاح.

وذلك لأنه يعرف ثوابَ ذلك، وفضله عند الله تبارك وتعالى:

فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ[2] بسبع وعشرين درجة**».

(متفق عليه)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاةُ الرجلَ فى جماعةٍ تضعف على صلاته فى بيته وسوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة، لم يَخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحُط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه ما لم يحدث: اللهم صل عليه، اللهم أرحمه، ولايزال فى صلاة ما انتظر الصلاة**».

(متفق عليه، وهذا لفظ البخارى)

وتلك ثروة عظيمة من الحسنات لابد وأن يحرص المؤمن الصادق على اكتنازها والفوز بها، ولابد وأن يحرص كذلك على عدم التخلف عنها، لما ورد فى ذلك من تحذيرات:

فعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**والذى نفسى**

(١) أى أقبل على الصلاة وعلى الفلاح.

(٢) أى المنفرد.

بيده.. لقد هممت أن آمر بحطب فيُحتطب، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالفه إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم»[1].

(متفق عليه)

وعنــه أيضــاً رضــى الله عنه، أنه قال: أتى النبى ﷺ رجُــلٌ أعمــى، فقال: يا رسول الله.. ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يـرخص له فيصلى فى بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال له: **«هل تسمع النداء**[2] **بالصلاة»** ؟ قال: نعم.. قال: **«فأجب»**.

(رواه مسلم)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: **«من سره أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام فى الصف»**.

(رواه مسلم)

وفى رواية له، قال: إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى: الصلاة فى المسجد الذى يؤذن فيه.

---

(١) وهذا من رحمة الله تعالى بنا.. لأن النبى ﷺ هَـمَّ ولم يفعل.. ولو فعل لجاز لنا أن نحرق بيت الذى يستمـع إلى النـداء فلا يلبيه.. فلاحظ كل هـذا أخا الإسـلام.. حتى لا تتخلف عن صلاة الجماعة التى هى من أهم مؤكدات الإيمان فضلاً عن الثواب الناتج عنها.

(٢) أى الأذان.

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«ما من ثلاثة فى قرية ولابدو لاتقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».**

«رواه أبو داود بإسناد حسن»

فالمؤمن لذلك يحافظ على صلاة الجماعة حتى يؤكد إيمانه، وحتى لا يستحوذ عليه الشيطان الذى يحرص على حرمانه من هذا الخير العظيم حتى لا يكون من أهل الجنة:

فعن حنظلة الكاتب رضى الله عنه، قال: سمعت رسول ﷺ، يقول: **«من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة - أو قال - حُرم على النار».**

(رواه أحمد باسناد جيد)

وروى عن كعب بن عجرة رضى الله عنه أنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن سبعة نفر، أربعة من موالينا، وثلاثة من عربنا، مسندى ظهورنا إلى مسجده، فقال: **«ما أجلسكم»**؟ قلنا: جلسنا ننتظر الصلاة، قال: فأرم[1] قليلاً ثم أقبل علينا، فقال: «هل تدرون ما يقول ربكم»؟

قلنا: لا.. قال:

«فإن ربكم يقول: من صلى الصلاة لوقتها، وحافظ عليها ولم يضيعها استخفافاً بحقها فله على عهد أن أدخله الجنة، ومن لم يصلها لوقتها، ولم يحافظ عليها وضيعها استخفافاً بحقها فلا عهد له علىّ إن شئتُ عذبته، وإن شئت غفرت له».

(رواه الطبرانى وأحمد)

---

(١) أرم بتشديد الميم وفتح الراء: أى سكت.

فالمؤمن لهذا ـ كما علمنا ـ يحافظ على الصلوات الخمس وفى أوقاتها كما يشير إليه قول الله تعالى:

﴿ إن الصلاةَ كانت على المؤمنينَ كتاباً موقوتاً ﴾[1].

وذلك حتى لا يكون يوم القيامة مع قاروون، وفرعون، وهامان، وأبى بن خلف:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ، أنه ذكر الصلاة يوماً، فقال: **«من حافظ عليها: كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها: لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبى بن خلف»**.

(رواه أحمد)

وقال معلقاً عليه: من تركها بسبب الرياسة حشر مع فرعون، ومن تركها بسبب السياسة حشر مع هامان[2].

ومن تركها بسبب جمع المال حشر مع قارون ومن تركها من أجل الجدال والخصام حشر مع أبى بن خلف[3] أهـ.

والمؤمن يحافظ بصفة خاصة على الصلاة الوسطى تنفيذاً لأمر الله تعالى فى قوله:

﴿ حافظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوسطى وقوموا للهِ قانتينَ ﴾[4].

---

(١) النساء: ١٠٣.

(٢) لأن هامان كان وزيرا لفرعون يدير شئون الملك، قال تعالى: **﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً ﴾** (غافر: ٢٦).

(٣) وكان أبى يجادل الرسول ﷺ كثيرا فى شأن البعث والحياة والموت.

(٤) البقرة: ٢٣٨.

وقد اختلف الفقهاء فى تعيينها على عشرة أقوال، أو أكثر. فقال جماعة: هى صلاة الصبح لما فيها من المشقة، ولأنها صلاة تثقل على كثير من الناس.

وممن قال بهذا: عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وابن عباس، وابن عمر، وجابر، ومالك، والشافعى.

وقال جمع غفير من الفقهاء والمحدثين: هى صلاة العصر، وقد رجح كثير من المحققين هذا الرأى الأخير لورود الأحاديث الصحيحة الصريحة بذلك:

منها ما رواه مسلم وأحمد وأبو داود: أن رسول الله ﷺ، قال يوم الأحزاب: **«حبسونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً»**.

وروى ابن جرير، من حديث أبى هريرة مرفوعاً **«الصلاة الوسطى صلاة العصر»**.

ومن طريق كهيل بن حرملة سئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطى، فقال: اختلفنا فيها ونحن بفناء بيت رسول الله ﷺ، وفينا أبو هاشم بن عتبة، فقال: أنا أعلم لكم، فقام فاستأذن على رسول الله ﷺ، ثم خرج إلينا، فقال: أخبرنا أنها صلاة العصر[1].

وقد ورد الترغيب فى المحافظة على هذين الوقتين، بصفة خاصة:

فعن أبى موسى رضى الله عنه، أن رسول الله، قال: **«من صلى البردين[2] دخل الجنة»**.

(رواه البخارى ومسلم)

---

(١) انظر المنهل العذب المورود ٣ ص ٣٢٤.

(٢) البردان: الصبح والعصر.

وعن أبى زهير عمارة بن رؤيبة رضى الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**لن يلج[1] النارَ أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، يعنى الفجر والعصر**».

(رواه مسلم)

وعن جندب بن سفيان رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى الصبح فهو فى ذمة الله، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله من ذمته بشىء**».

(رواه مسلم)

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله ـ وهو أعلم بهم ـ: كيف تركتم عبادى؟**».

فيقولون: «**تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**».

(متفق عليه)

* * *

كما ورد الترغيب فى حضور الجماعة، فى الصبح والعشاء:

فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله**».

(رواه مسلم). وفى رواية الترمذى:

---

(١) أى لن يدخل النار.

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ **«من شهد العشاءَ فى جماعةٍ: كان له قيامُ نصف ليلة، ومن شهد العشاء والفجر فى جماعة: كان كقيام ليلة»**.

(قال الترمذى: حديث حسن صحيح)

وعـن أبى هريرة رضى الله عـنه، أن رسول الله ﷺ، قال: **«ولو يعلمون مـا فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»**[1].

(متفق عليه)

وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ **«ليس صلاة اثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً»**.

(متفق عليه)

* * *

وكذلك ورد الترغيب فى التبكير إلى المسجد لحضور صلاة الجمعة، بعد الاغتسال والتطيب، والتجمل بالثياب:

فعن سلمان الفارسى رضى الله عنه، قال: قال النبى ﷺ: **«لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر بما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يروح إلى المسجد، ولا يفرق بين اثنين، ثم يصلى ما كتب له، ثم ينصت للإمام إذا تكلم إلا غفر له من الجمعة إلى الجمعة الأخرى»**.

(رواه أحمد والبخارى)

(١) أى زحفاً على الركب.

وعن أبى سعيد رضى الله عنه، أن النبى ﷺ، قال: «**على كل مسلم الغسل يوم الجمعة، ويلبس من صالح ثيابه، وإن كان له طيب مَسَّ منه**».

(أخرجه البخارى ومسلم)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ، قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة[1] ثم راح: فكأنما قرب بدنة[2]، ومن راح فى الساعة الثانية: فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة: فكأنما قرب كبشاً أقرن[3]. ومن راح فى الساعة الرابعة: فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة: فكأنما قرب بيضة. فإذا خرج[4] الإمام: حضرت الملائكة يستمعون الذكر**».

(رواه البخارى ومسلم)

* * *

وقد ورد التحذير من ترك صلاة الجمعة بدون عذر:

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «**إن الله تعالى قد كتب عليكم الجمعة، فى مقامى هذا، فى ساعتى هذه، فى شهرى هذا، فى عامى هذا، إلى يوم القيامة، من تركها من غير عذر، مع إمام عادل، أو جائر، فلا جمع الله شمله، ولا بورك له فى أمره، ألا ولاصلاة له، ولا حج له، ألا ولابِرَّ له، ولا صدقة له**».

(رواه الطبرانى)

---

(١) معناه غسلا كغسل الجنابة.

(٢) أى ناقة.

(٣) أى له قرنان.

(٤) أى خرج من خلوته وصعد المنبر.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه، أن النبى ﷺ، قال عن قوم يتخلفون عن صلاة الجمعة: **«لقد هممت آن آمر رجلا يصلى بالناس، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»**.

(رواه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده)

وعن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال ـ وهو على أعواد منبره ـ : **«لينتهينَّ أقوام عن ودعهم[1] الجمعة، أو ليختمن الله على قلوبهم، وليكتبن من الغافلين»**.

(أخرجه أحمد والنسائى)

وعن أبى الجعد الضمرى وكانت له صحبة عن النبى ﷺ، قال: **«من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه»**.

(رواه أبو داود، والنسائى، والترمذى وحسنه)

* * *

ولهذا.. ومن أجل كل هذا.. فإن المؤمن لا يتخلف عن صلاة الجماعة بالنسبة لجميع الأوقات بصفة عامة، ولا عن صلاة الجمعة بصفة خاصة، إلا إذا كان هناك عذر يمعنه من أدائها :

بأن كان مريضاً، أو مُـقعداً، أو أعمى لا يجد من يقوده، ولا يهتدى بنفسه إلى محل الجامع. ويلحق بالعاجز من كان له عذر يمنعه من الحضور إليها، بأن كان ممرضا يحتاج إليه المريض، ولو تركه يزداد مرضه، أو يتأخر شفاؤه، أو كان طبيباً يجرى عملية جراحية ـ مثلا ـ أو كان محبوساً لا يستطيع الخروج من حبسه، ونحو ذلك من الأعذار الضرورية. والدين يسر، والطاعة على قدر الطاقة.

---

(١) أى تركهم.

قال تعالى: ﴿ **وما جعلَ عليكمْ فى الدينِ منْ حرجٍ** ﴾[1].

وقال عز شأنه: ﴿ **يريدُ اللهُ بكم اليُسر ولا يُريد بكم العسرَ** ﴾[2].

* * *

كذلك من أعذار التخلف عن الجماعة:

البرد والمطر:

فعن ابن عمر عن النبى ﷺ، أنه كان يأمر المنادى بالصلاة، ينادى: «**صلوا فى رحالكم فى الليلة الباردة المطيرة فى السفر**».

(رواه الشيخان)

وعن جابر، قال: خرجنا مع رسول ﷺ فى سفر فُـمطرنا، فقال: «**ليصلِ من شاء منكم فى رحله**»[3].

(رواه أحمد ومسلم، وأبو داود والترمذى)

ومثل البرد: **الحر الشديد والظلمة، والخوف من ظالم:** قال ابن ابطال: أجمع العلماء على أن التخلف عن الجماعة فى شدة المطر والظلمة والريح وما أشبه ذلك مباح.

وكذلك حضور الطعام:

لحديث ابن عمر رضى الله عنهما، قال: سمعت النبى ﷺ، يقول: «**إذا**

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) فى رحله: أى فى منزله.

كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضى حاجته منه، وإن أقيمت الصلاة».

(رواه البخارى)

ومدافعة الأخبثين (البول والغائط):

فعن عائشة رضى الله عنها، قالت: سمعت النبى ﷺ يقول: **«لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافع الأخبثين».**

(رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود)

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال: **«من فقه الرجل إقباله على حاجته، حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ».**

(رواه البخارى)

* * *

ثم إن المؤمن عندما يلبى نداء الله، ويكون فى داخل المسجد: فإنه سيبدأ بصلاة السنن الراتبة[1]، وهى سنة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وإليك بيانها:

سنة الفجر:

وردت عدة أحاديث فى فضل المحافظة عليها، منها:

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فى

(١) إذا لم يكن قد صلى السنة القبلية فى بيته قبل أن يذهب إلى المسجد وهو أفضل.

الركعتين قبل صلاة الفجر، قال: «**هما أحب إلى من الدنيا جميعاً**».

(رواه أحمد، ومسلم، والترمذى)

وعنها أيضا رضى الله عنها، قالت: «**لم يكن رسول الله ﷺ على شىء من النوافل أشد معاهدة (١) من الركعتين قبل الصبح**».

(رواه الشيخان، وأحمد، وأبو داود)

وعنها أن النبى ﷺ، قال: «**ركعتا الفجرِ خيرٌ من الدنيا وما فيها**».

(رواه أحمد ومسلم، والترمذى، والنسائى) ولأحمد ومسلم عنها، قالت:

«**ما رأيته إلى شىء من الخير أسرع منه إلى الركعتين قبل الفجر**».

ومن السنة تخفيف القراءة فى ركعتى الفجر:

فعن حفصة، قالت: كان رسول الله ﷺ، يصلى ركعتى الفجر قبل الصبح فى بيتى يخففهما جداً. قال نافع: وكان عبد الله ـ يعنى ابن عمر ـ يخففهما كذلك.

(رواه أحمد والشيخان)

وقد ورد أنه يُستحب القراءة فى ركعتى الفجر ـ بعد الفاتحة (٢) ـ بالوارد عن النبى ﷺ، والذى منه:

عن عائشة قالت: كان رسول اللّـه ﷺ يقرأ فى ركعتى الفجر: ﴿ **قل**

---

(١) أى مواظبة.

(٢) لأنه لا صلاة بدونها : (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب).

يأيها الكافرون﴾ و ﴿ قل هو اللـه أحد﴾ وكان يُسر بها.

(رواه أحمد والطحاوى)

وعنها أن النبى ﷺ، كان يقول : «نعم السورتان هما» كان يقرأ بهما فى الركعتين قبل الفجر: **﴿ قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿ قل هو اللـه أحد﴾**.

(رواه أحمد وابن ماجه)

* وعن ابن عباس، قال: كان رسول اللـه ﷺ يقرأ فى ركعتى الفجر **﴿ قولوا آمنا باللـهِ وما أُنزلَ إلينا وما أُنزلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نُفرقُ بين أحدٍ منهمْ ونحنُ لهم مسلمونَ﴾** (١).

والتى فى آل عمران: **﴿ قل يا أهلَ الكتابِ تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبدَ إلا اللـه ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضنا بعضًا أرباباً من دون اللـه فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمونَ﴾** (٢).

(رواه مسلم)

وعنه فى رواية أبى داود أنه كان يقرأ فى الركعة الأولى: **﴿ قولوا آمنا باللـه...﴾** وفى الثانية : **﴿ فلما أحسَّ عيسى منهمُ الكفرَ قال من أنصارى إلى اللـهِ قال الحواريونَ نحنُ أنصارُ اللـهِ آمنا باللـهِ واشهدْ بأنا مسلمونَ﴾** (٣).

---

(١) البقرة : ١٣٦.
(٢) آل عمران : ٦٤.
(٣) آل عمران : ٥٢.

ويجوز الإقتصار على الفاتحة وحدها:

فعن عائشة رضى اللـه عنها، قالت: كان قيام رسول اللـه ﷺ فى الركعتين قبل صلاة الفجر قدر ما يقرأ فاتحة الكتاب.

(رواه أحمد، والنسائى، والبيهقى، ومالك، والطحاوى)

وقد ورد كذلك فى الأذكار للنووى أنه روى فى كتاب ابن السنى:

عن أبى المليح، واسمه عامر بن أسامة، عن أبيه أنه صلى ركعتى الفجر، وأن رسول اللـه ﷺ: صلى قريبًا منه ركعتين خفيفتين ثم سمعه يقول وهو جالس: **«اللـهم رب جبريل واسرافيل وميكائيل ومحمد النبى ﷺ أعوذ بك من النار»** [ثلاث مرات].

وعن أنس عن النبى ﷺ، قال: **«من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة** (١)**: أستغفر اللـه الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه،** ثلاث مرات: **غفر اللـه تعالى ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»**.

وإذا كان قد ورد الإضطجاع على الشق الأيمن بعد سنة الفجر. فقد قال الحافظ فى الفتح: وذهب بعض السلف إلى استحبابها فى البيت دون المسجد.

وأما عن قضائها، فقد ورد كذلك، أنهما تُقضيان: قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها، سواء أكان فواتها لعذر أو لغير عذر، وسواء فاتت وحدها أو مع الصبح.

سنة الظهر:

وقد ورد فى سنة الظهر، أنها أربع ركعات، أو ست، أو ثمان، وإليك بيانها مفصلا (٢) حسب هذا الترتيب:

---

(١) أى: صلاة الصبح.

(٢) كما فى فقه السنة جـ ٢.

عن ابن عمر رضى اللّـه عنهما، قال: حفظت من النبى ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب فى بيته، وركعتين بعد العشاء فى بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح (رواه البخارى).

عن عبد اللّـه بن شقيق، قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان يصلى قبل الظهر أربعاً واثنتين بعدها

(رواه أحمد ومسلم وغيرهما)

وعن أم حبيبة، قالت: قال رسول اللّـه ﷺ : **«من صلى أربعًا قبل الظهر، وأربعاً بعدها: حرم اللّـه لحمه على النار»**.

(رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذى)

وقد ورد: فضل الأربع قبل الظهر:

فعن أبى أيوب الأنصارى: **«أنه كان يصلى أربع ركعات قبل الظهر، فقيل له: إنك تديم هذه الصلاة، فقال: إنى رأيت رسول اللّـه يفعله، فسألته فقال: «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحببت أن يرفع لى فيها عمل صالح»**.

(رواه أحمد وسنده جيد)

قال أبو جعفر الطبرى: الأربع كانت فى كثير من أحواله، والركعتان فى قليلها.

قال فى فقه السنة: وإذا صلى أربعًا قبلها أو بعدها فالأفضل أن يُسلم بعد كل ركعتين، ويجوز أن يصليها متصلة فى تسليم واحد، لقول رسول اللّـه ﷺ **«صلاة الليل والنهار مثنى مثنى»**.

(رواه أبو داود بسند صحيح)

وحول قضاء سنة الظهر القبلية، فقد ورد:

عن عائشة رضى اللّـه عنها أن النبى ﷺ، كان إذا لم يُصل أربعًا قبل الظهر صلاهن بعدها.

(رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب)

وروى ابن ماجه عنها، قالت: كان رسول اللّـه ﷺ إذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاهن بعد الركعتين بعد الظهر [1].

أما قضاء راتبة الظهر البعدية، فقد جاء فيه ما رواه أحمد:

عن أم سلمة، قالت: صلى رسول اللّـه ﷺ وسلم الظهر، وقد أُتى بمال، فقعد يـقسمه حتى أتاه المؤذن بالعصر فصلى العصر ثم انصرف إلى، وكان يومى، فركع ركعتين خفيفتين، فقلنا ما هاتان الركعتان يا رسول اللّـه، أمرت بهما؟ قال: « لا.. **ولكنهما ركعتان كنت أركعهما بعد الظهر، فشغلنى قسم هذا المال حتى جاء المؤذن بعد العصر فكرهت أن أدعهما** » [2].

(رواه البخارى ومسلم وأبو داود بلفظ آخر)

وهذا دليل على أفضلية قضائهما لأنهما من السنن المؤكدة أى التى واظب الرسول ﷺ على فعلها.

سنة المغرب:

وقد ورد كما عرفت وقرأت فى حديث ابن عمر رضى اللّـه عنهما: أنه يسن بعد صلاة المغرب ركعتين وأنهما من الصلاة التى لـم يكـن يدعهما النبـى ﷺ.

(١) لأن السنن القبلية يمتد وقتها إلى آخر وقت الفريضة.

(٢) أى أتركهما.

ويستحب فى سنة المغرب أن يقرأ فيها بعد الفاتحة بـ **﴿قل يا أيها الكافرون﴾** و**﴿ قل هو اللـه أحد﴾** .

فعن ابن مسعود رضى اللـه عنه، أنه قال: ما أُحصى ما سمعتُ رسول اللـه ﷺ يقرأ فى الركعتين بعد المغرب، وفى الركعتين قبل الفجر بـ **﴿ قل يا أيها الكافرون﴾** و **﴿قل هو اللـه أحد﴾**.

(رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه)

وكذا يستحب أن تُـؤدى فى البيت:

فعن محمود بن لبيد، قال: أتى رسول اللـه ﷺ بنى عبد الأشهل فصلى بهم المغرب، فلما سلم، قال: **«اركعوا هاتين الركعتين فى بيوتكم»** .

(رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى)

** هذا.. إذا كنت ستعود إليه ـ أى إلى بيتك ـ بعد الصلاة، أما إذا كنت ستجلس فى المسجد للإستماع إلى درس علم ـ مثلاً ـ إلى صلاة العشاء، أو إذا كنت ستذهب إلى مكان ما لقضاء مصلحة لك أو لغيرك، فلا مانع من أداء تلك السنة فى المسجد، وكذلك بالنسبة لجميع السنن القبلية والبعدية.

* مع ملاحظة أنه من الأفضل إذا لم تكن هناك أسباب ـ كتلك التى وقفتَ عليها ـ : أن تُـؤدى جميع السنن فى بيتك.

* فعن جابر أن النبى ﷺ، قال : **«إذا صلى أحدكم الصلاة فى مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن اللـه عز وجل جاعل فى بيته من صلاته خيراً»** .

(رواه أحمد ومسلم)

وعن عمر رضى اللـه عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «**صلاة الرجل فى بيته تطوعاً نور فمن شاء نور بيته**».

(رواه أحمد)

وعن عبد اللـه بن عمر رضى اللـه عنهما، قال: قال رسول اللـه ﷺ : «**اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا**» [1].

(رواه أحمد وأبو داود)

وعن زيد بن ثابت رضى اللـه عنه، أن النبى ﷺ قال: «**صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا إلا المكتوبة**» [2].

(رواه أبو داود بإسناد صحيح)

* قال النووى: إنما حث على النافلة فى البيت لكونه أخفى عن الرياء وأصون من محبطات الأعمال، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان.

سنة العشاء:

وقد تقدم من الأحاديث ما يدل على سنية الركعتين بعد العشاء، بالإضافة إلى هذا الحديث:

عن المغيرة بن سليمان، قال: سمعت ابن عمر، يقول: «**كانت صلاة رسول اللـه ﷺ أن لا يدع ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الصبح**».

(رواه أحمد بسند جيد)

* * *

(١) لأنه ليس فى القبور صلاة.

(٢) أى المفروضة.

ـ هذا بالنسبة للسنن المؤكدة [١]، أما غير المؤكدة [٢]، فإليك كذلك بيانها:

السنن غير المؤكدة

ركعتان أو أربع قبل العصر:

وقد ورد فيها عدة أحاديث متكلم فيها، ولكن لكثرة طرقها يؤيد بعضها بعضاً، منها:

حديث ابن عمر، قال: رسول اللّـه ﷺ :

«رحم اللّـه امرءًا صلى قبل العصر أربعا»

(رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى وحسنه، وابن حبان وصححه، وكذا صححه ابن خزيمة).

وحديث علىّ أن النبى ﷺ، كان يصلى قبل العصر أربعا يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين ومَن تبعهم من المؤمنين والمسلمين»

(رواه أحمد، والنسائى، وابن ماجه، والترمذى وحسنه)

وأما الإقتصار على ركعتين فقط فدليله عموم قوله ﷺ:

---

(١) السنة المؤكدة هى ما فعلها النبى ﷺ وواظب عليها.. ورغب فيها .. وهذه السنة المؤكدة يثاب الإنسان على فعلها ويُـعاتب على تركها.

(٢) وغير المؤكدة: هى التى تركها النبى ﷺ فى بعض الأحيان، ولم يُـرغب فيها كثيراً.. ويسميها الفقهاء: مستحباً، أو مندوباً، أو سنة خفيفة.. وهذه السنة: يثاب الإنسان على فعلها ولا يعاتب على تركها.

.. ومع هذا، فإننى أرجو من الأخ المسلم أن يحرص على السنن المؤكدة وغير المؤكدة حتى لا يـحرم من هذا الثواب الذى سيكون هناك عند الله تعالى فى أشد الحاجة إليه.. والله الموفق.

«بين كل أذانين صلاة»

(من حديث رواه الجماعة)

ركعتان قبل المغرب:

أى بعد أذان المغرب، وقد ورد فيهما:

عن عبد اللّـه بن مغفل، أن النبى ﷺ، قال: **«صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب»**، ثم قال فى الثالثة: **«لمن شاء»** كراهية أن يتخذها الناس سنة.

(رواه البخارى)

وفى رواية لابن حبان: أن النبى ﷺ، صلى قبل المغرب ركعتين.

وفى مسلم: عن ابن عباس، قال: كنا نصلى ركعتين قبل غروب الشمس، وكان رسول اللّـه ﷺ يرانا فلم يأمرنا ولم ينهنا.

قال الحافظ فى الفتح: ومجموع الأدلة يُـرشد إلى استحباب تخفيفهما كما فى ركعتى الفجر.

ركعتان قبل العشاء:

وقد ورد فيهما، كذلك:

من حديث عبد اللّـه بن مغفل أن النبى ﷺ، قال: **«بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة»**، ثم قال فى الثالثة: **«لمن شاء»**.

(رواه الجماعة)

ولابن حبان، من حديث ابن الزبير أن النبى ﷺ، قال: **«ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان»**.

صـلاة الـــوتــر

وأما عن الوتر:

فهو سنة مؤكدة، حث عليه الرسول ﷺ ورغب فيه:

فعن على رضى اللّـه عنه، قال: إن الوتر ليس بحتم (١) كصلاتكم المكتوبة، ولكن رسول اللّـه ﷺ أوتر، ثم قال: «**يا أهل القرآن .. أوتروا فإن اللّـه وتر (٢) يحب الوتر**»

(رواه أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذى، ورواه الحاكم أيضا وصححه)

* * *

وقت الوتر

وقد أجمع العلماء على أن وقت الوتر لا يدخل إلا بعد صلاة العشاء وأنه يمتد إلى الفجر.

ويستحب تعجيله لمن ظن أنه لا يستيقظ آخر الليل، وتأخيره لمن ظن أنه يستيقظ آخره:

* فعن جابر رضى اللّـه عنه، أن النبى ﷺ قال: «**من ظنَّ منكمْ أن لا يستيقظ آخره فليوتر أوله، ومن ظن منكم أنه يستيقظ آخره (٣) فليوتر آخره، فإن صلاة آخر الليل محضورة (٤) وهى أفضل**»

(رواه أحمد، ومسلم، والترمذى، وابن ماجه)

---

(١) أى ليس بلازم.

(٢) أى أنه سبحانه وتعالى واحد يحب صلاة الوتر ويثيب عليها قال نافع: وكان ابن عمر لا يصنع شيئا إلا وترا.

(٣) أى آخر الليل.

(٤) أى تحضرها الملائكة.

وعنه رضى اللّـه عنه، أن رسول اللّـه ﷺ، قال لأبى بكر: «**متى توتر**» ؟ **قال: أول الليل بعد العتمة** [1] **قال: «فأنت يا عمر»** ؟ **قال : آخر الليل. قال: «أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالثقة** [2] **، وأما أنت يا عمر فأخذت بالقوة»** [3]

(رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم)

قال فى فقه السنة ج ٢ : وانتهى الأمر برسول ﷺ إلى أنه كان يوتر وقت السحر لأنه الأفضل كما تقدم. قالت عائشة رضى اللّـه عنها : «**من كل الليل قد أوتر النبى ﷺ : من أول الليل وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر**» .

(رواه الجماعة)

* * *

عدد ركعات الوتر

وأما عن عدد ركعات الوتر:

فقد قال الترمذى: روى عن النبى ﷺ:

«**الوتر بثلاث عشرة ركعة، وإحدى عشرة ركعة، وتسع، وسبع وخمس، وثلاث، وواحدة**» .

---

(١) أى العشاء.

(٢) أى الحزم والحيطة.

(٣) أى العزيمة على القيام آخر الليل.

قال اسحاق بن ابراهيم: معنى ما روى عن النبى ﷺ كان يوتر بثلاث عشرة ركعة، أنه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر، يعنى من جملتها الوتر، فنسبت صلاة الليل إلى الوتر.

قال فى فقه السنة ج٢ : ويجوز أداء الوتر ركعتين ركعتين [١] ثم صلاة ركعة بتشهد وسلام، كما يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام، فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهد إلا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة فيتشهد فيها ثم يقوم إلى الركعة الأخيرة فيصليها ويتشهد فيها ويسلم، ويجوز أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة، كل ذلك جائز وارد عن النبى ﷺ.. قال ابن القيم: وردت السنة الصحيحة الصريحة المحكمة فى الوتر بخمس متصلة، وسبع متصلة. كحديث أم سلمة: كان رسول اللّه ﷺ يوتر بسبع وبخمس لا يفصل بسلام ولا بكلام.

(رواه أحمد، والنسائى، وابن ماجه بسند جيد)

وكقول عائشة: كان رسول اللّه ﷺ يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس لا يجلس إلا فى آخرهن.

(متفق عليه)

* * *

القراءة في الوتر

قال فى فقه السنة : يجوز القراءة فى الوتر بعد الفاتحة بأى شئ من القرآن.

قال على: ليس من القرآن شئ مهجور فأوتر بما شئت.

---

(١) أى يسلم على رأس كل ركعتين.

ولكن المستحب إذا أوتر بثلاث أن يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة : ﴿ **سبح اسم ربكَ الأعلى**﴾ وفى الثانية : ﴿ **قل يا أيها الكافرونَ**﴾ وفى الثالثة : ﴿ **قلْ هوَ اللّهُ أحدٌ**﴾، والمعوذتين:

فقد ورد عن عائشة رضى اللّه عنها أنها قالت: كان رسول اللّه ﷺ يقرأ فى الركعة الأولى بـ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى**﴾ وفى الثانية : بـ ﴿ **قل يا أيها الكافرونَ**﴾ وفى الثالثة : بـ ﴿ **قل هو اللّه أحدٌ**﴾ ، والمعوذتين.

(رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى وحسنه)

* * *

القنوت فى الوتر

ويشرع القنوت فى الوتر فى جميع السنة:

لما رواه أحمد وأهل السنن وغيرهم من حديث الحسن بن على رضى اللّه عنه، قال: علمنى رسول اللّه ﷺ كلمات أقولهن فى الوتر : «**اللّهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، فانك تقضى ولا يُقضى عليك، وأنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، وصلى اللّه على النبى محمد**» . قال الترمذى : هذا حديث حسن. قال: ولا يعرف عن النبى ﷺ فى القنوت شئ أحسن من هذا.

وقال النووى : إسناده صحيح.

وذهب الشافعى وغيره إلى أنه لا يقنت فى الوتر إلا فى النصف الأخير من رمضان:

لما رواه أبو داود أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أُبى بن كعب وكان يصلى لهم عشرين ليلة ولا يقنت إلا فى النصف الباقى من رمضان.

ويجوز القنوت قبل الركوع بعد الفراغ من القراءة، ويجوز كذلك بعد الرفع من الركوع.

فعن حميد، قال: سألت أنسًا عن القنوت قبل الركوع أو بعد الركوع؟ فقال : كنا نفعل قبل وبعد.

(رواه ابن ماجه، ومحمد بن نصر، قال الحافظ فى الفتح: إسناده قوى).

وإذا قنت قبل الركوع كبر رافعًا يديه بعد الفراغ من القراءة وكبر كذلك بعد الفراغ من القنوت: روى ذلك عن بعض الصحابة، وبعض العلماء استحب رفع يديه عند القنوت، وبعضهم لم يستحب ذلك.

* * *

الدعاء بعده

ويستحب أن يقول المصلى بعد السلام من الوتر ماورد فى نص الحديث الآتى:

* عن أبى بن كعب، قال: كان رسول اللّـه ﷺ يقرأ فى الوتر بـ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى**﴾ و ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ و ﴿**قل هو اللّـه أحد**﴾، فإذا سلم، قال «**سبحان الملك القدوس، ثلاث مرات يمد بها صوته فى الثالثة ويرفع**»

وهذا لفظ النسائى، زاد الدارقطنى، ويقول: «**رب الملائكة والروح**» ثم يدعو بما رواه أحمد وأصحاب السنن:

عن على أن النبى ﷺ كان يقول فى آخر وتره: «**اللّـهم إنى أعوذ برضاك**

من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

ومن صلى الوتر ثم بدا له أن يُصلى جاز ولا يعيد الوتر:

فعن على قال: سمعت رسول اللـه ﷺ، يقول : **«لا وتران فى ليلة».**

(رواه أبو داود، والنسائى، والترمذى وحسنه)

وقد ذهب جمهور العلماء إلى مشروعية قضاء الوتر:

فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ، قال: **«إذا أصبح أحدكم ولم يوتر فليوتر»**

(رواه البيهقى والحاكم وصححه على شرط الشيخين)

* * *

ما بعد إقامة الصلاة

وعندما تقام الصلاة، فإن المؤمن يقول: **«أقامها اللـه وأدامها»**:

فعن بعض أصحاب رسول اللـه ﷺ، أن بلالاً أخذ فى الإقامة، فلما قال: قد قامت الصلاة، قال النبى ﷺ : **«أقامها اللـه وأدامها».**

ثم عندما يقف المؤمن فى الصف ، فإنه سيلاحظ ماورد فى الأحاديث الآتية حتى يقبل اللـه صلاته:

عن أبى هريرة رضى اللـه عنه أن رسول اللـه ﷺ، قال : **«لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا [1] عليه لا ستهموا».**

(رواه البخارى ومسلم)

---

(١) أى يقترعوا.

وعن ابن عمر رضى اللّـه عنهما أن الرسول ﷺ، قال: «**أقيموا الصفوف وحاذوا المناكب** [١]، **وسدوا الخلل** [٢]، **ولينوا بأيدى** [٣] **اخوانكم ولا تذروا فرجات الشيطان، ومن وصل صفاً وصله اللّـه، ومن قطع صفاً قطعه اللّـه**».

(رواه أحمد وأبو داود)

وعن أنس رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : «**سوّوا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة**».

(رواه البخارى ومسلم)

وفى رواية للبخارى: «**فان تسوية الصفوف من إقامة الصلاة**».

وعن ابن عمر رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : «**خياركم ألينكم مناكب فى الصلاة، وما من خطوة أعظم أجراً من خطوة مشاها رجل إلى فرجة فى الصف فسدها**».

(رواه البزار باسناد حسن)

وعن أنس رضى اللّـه عنه، قال : صلى بنا رسول اللّـه ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «**أيها الناس .. إنى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالقيام، ولا بالانصراف فإنى أراكم أمامى ومن**

(١) جمع منكب كمجلس: مجمع عظم العضد والكتف.

(٢) الخلل بفتح اللام: الفرجة.

(٣) أى لا تمتنعوا على من يجئ ليدخل فى الصف فيضيق به المكان فيبدء صفا جديدا فاذا جزبكم إليه فلينوا معه.

خلفى»، ثم قال: «والذى نفسِ محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» قالوا : وما رأيتَ يا رسول اللّـه؟ قال: «رأيت الجنة والنار» .

(رواه مسلم)

وعن أبى هريرة رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«ما يأمن الذى يرفع رأسه فى صلاته قبل الإمام أن يحول اللّـه صورته فى صورة حمار» .**

(رواه مسلم)

وعنه رضى اللّـه عنه، قال: قال: **«الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الإمام إنما ناصيته [1] بيد شيطان» .**

(أخرجه مالك)

وعنه رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل اللّـه رأسه رأس حمار - أو صورته صورة حمار» ؟**

(أخرجه الخمسة)

* * *

** وعلى الأخ الإمام والمنفرد أن يلاحظا كذلك ما جاء فى تلك الأحاديث:

عن أبى يعلى شداد بن أوس رضى اللّـه عنه، عن رسول اللّـه ﷺ، قال: « **إن اللّـه كتب الإحسان على كل شئ [2] فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة [3] ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبحة [4]، وليُحد أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته» .**

(رواه مسلم)

(١) مقدم رأسه، والمعنى أنه استولى عليه وصار زمامه بيده.
(٢) ومنه الاحسان فى العبادة وأخصها الصلاة، وذلك بالخشوع فيها والاتيان بها كاملة الأركان تامة الشروط.
(٣) القتلة بكسر القاف: هيئة القتل.
(٤) الذبحة بالكسر : هيئة الذبح.

وعن أبى مسعود البدرى، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«لاتُجزئ صلاة الرجل حتى يُقيم ظهره فى الركوع والسجود»**

(رواه أحمد، وأبو داود، واللفظ له)

وعن أبى قتادة رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته»**. قالوا : يا رسول اللّـه .. كيف يسرق من الصلاة؟ قال: **« لا يتم ركوعها ولا سجودها»**، أو قال: **«لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود»**.

(رواه أحمد والحاكم)

وعن أبى عبد اللّـه الأشعرى أن رسول اللّـه ﷺ رأى رجلا لا يُتم ركوعه وينقر فى سجوده وهى يصلى، فقال رسول اللّـه ﷺ: **«لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد ﷺ»**. ثم قال رسول اللّـه : **«مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يُغنيان عنه شيئا»**.

(رواه الطبرانى فى الكبير)

وعن عبد اللّـه بن مسعود رضى اللّـه عنه، قال : سمعت رسول اللّـه ﷺ يقول: **« إن العبد إذا صلى فلم يتم صلاته : خشوعها ولا ركوعها، وأكثر الإلتفات لم تقبل منه، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر اللّـه اليه وان كان على اللّـه كريما»**.

(رواه الطبرانى)

وعن أبى الدرداء رضى اللّـه عنه، أن النبى ﷺ، قال: «**أول شئ يُرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعاً**».

(رواه الطبرانى)

وعن أنس بن مالك رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : «**ما بال[1] أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء - فى صلاتهم - فاشتد قوله فى ذلك حتى قال : - لينُـتهُـنّ عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم**»

(رواه البخارى)

وعن عائشة رضى اللّـه عنها قالت: سألت رسول اللّـه ﷺ عن التّـلَـفُّـت فى الصلاة، فقال: «**إختلاس [2] يختلسه الشيطان من صلاة العبد**».

(رواه البخارى والنسائى)

وعن أبى ذر رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : «**لا يزال اللّـه مُقبلاً على العبد فى صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه**».

(رواه أبو داود والنسائى)

* * *

ما بعد الصلاة

ثم بعد انتهاء الصلاة والخروج منها بالسلام : فإنه يُسن للمصلى [3] ـ سواء أكان إماماً أو مأموما ـ أن يستغفر اللّـه ثلاثاً، ويقول: اللّـهم أنت السلام

(١) أى ما شأنهم يصنعون ذلك، وقوله لينتهن: تهديدا لهم.

(٢) من اختلس الشئ : أى استلبه وخطفه.

(٣) كما جاء فى الدين الخالص ج ٢ ص ٣٣٤.

ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والاكرام، اللـهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. ويقرأ آية الكرسى، و ﴿ **قل هو اللـه أحد**﴾، والمعوذتين.

ويقول: سبحان اللـه ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، واللـه أكبر ثلاثا وثلاثين، ويختم المائة، بقوله: لا إله إلا اللـه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شئ قدير. ثم يدعو بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة، والدعاء بالمأثور أحب، وقد ورد فى ذلك أحاديث منها :

حديث ثوبان مولى النبى ﷺ، قال: «**كان رسول اللـه ﷺ إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثاً، وقال : «اللـهم أنتَ السلامُ ومنك السلامُ، تباركت ياذا الجلالُ والإكرام**»

(أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وصححه الترمذى).

وحديث معاذ بن جبل أن رسول اللـه ﷺ، قال له : «**أوصيك يا معاذ.. لاتدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللـهم أعنى على ذكرك، وشكرك ، وحسن عبادتك**»

(أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين)

وحديث الحسن بن على رضى اللـه عنهما، أن النبى ﷺ، قال: «**من قرأ آية الكرسى فى دُبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة اللـه إلى الصلاة الأخرى**».

(أخرجه الطبرانى بسند حسن)

وحديث عقبة بن عامر، قال: أمرنى رسول اللـه ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دُبر كل صلاة.

(أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذى، والنسائى)

وحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«من سبح اللّـه دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد اللّـه ثلاثاً وثلاثين، وكبر اللّـه ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا اللّـه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير : غُفرت له خطاياه وإن كانت مثل زَبَد البحر»**

(أخرجه أحمد ومسلم)

وحديث سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول اللّـه ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور [1] بالدرجات العلا والنعيم المقيم. قال: «وماذاك» قالوا: يصلون كما نُصلى، ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول اللّـه ﷺ : **«أفلا أعلمكم شيئاً تُدرِكون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم»**؟ قالوا: بلى يا رسول اللّـه.. قال : **«تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة»**.

فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول اللّـه ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول اللّـه ﷺ: **«ذلك فضل اللّـه يُؤتيه من يشاء»**.

قال سُمى : فحدثت بعض أهلى بهذا الحديث، فقال: وهمتَ إنما قال : تسبح ثلاثاً وثلاثين، وتكبر أربعاً وثلاثين، وتكبر أربعاً وثلاثين.

فرجعت إلى أبى صالح، فقلت له ذلك، فأخذ بيدى، فقال: **«اللّـه أكبر**

(١) الدثور : أى الأموال الكثيرة.

وسبحان اللّه والحمد اللّه. اللّه أكبر وسبحان اللّه والحمد اللّه حتى تبلغ من جميعهن ثلاثاً وثلاثين».

(أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم)

وروى سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن رسول اللّـه ﷺ أنهم قالوا : يا رسول اللّـه .. ذهب أهل الدثور.. بمثل الحديث السابق. وزاد فى الحديث: يقول سـهيل : إحدى عشرة إحدى عشرة إحدى عشرة فجميع ذلك كله ثلاثة وثلاثون.

(أخرجه مسلم)

وحديث محمد بن أبى عائشة عن أبى هريرة أنه حدثهم أن أبا ذر، قال: يا رسول اللّـه.. ذهب أصحاب الدثور بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول أموالهم يتصدقون بها، وليس لنا ما نتصدق به. فقال ﷺ: «**أفلا أدلك على كلمات إذا عملتَ بهن أدركتَ مَن سَبقك، ولا يلحقك إلا من أخذ بمثل عملك**»؟ قلت: بلى يا رسول اللّـه .. قال: «**تكبر دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتسبح ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين، وتختمها بلا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير**».

(أخرجه أحمد، وأبوداود، والدارمى)

وفى رواية: «**تسبح اللّه خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين، وتكبر أربعاً وثلاثين**».

وحديث عبد اللّـه بن عمرو بن العاص أن رسول اللّـه ﷺ، قال: «**خلتان من حافظ عليهما أدخلتاه الجنة، وهما يسير ومن يعمل بهما قليل**» قالوا: وما هما يا رسول اللّـه؟

قال : «**أن تحمد اللّـه وتكبره وتسبحه فى دبر كل صلاة مكتوبة عشراً عشراً، وإذا أتيت إلى مضجعك تسبح اللّـه وتكبره وتحمده مائة مرة، فتلك خمسون ومائتان باللسان وألفان وخمسمائة فى الميزان، فأيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة**».. الحديث.

وفيه : ورأيت رسول اللّـه ﷺ يعقدهن بيده.

(أخرجه أحمد والنسائى بسند صحيح)

ثم يقول فى الدين الخالص معلقاً على تلك الأحاديث:

فعُـلم من هذه الروايات أن التسبيح عقب الصلوات وارد على أعداد مختلفة، فأى عدد منها عمل به الإنسان فقد وافق الوارد. وأكثرها وأقواها رواية التسبيح ثلاثاً وثلاثين، والتحميد والتكبير كذلك. فالعمل بها أولى. وأخذ من هذه الروايات أن مراعاة العدد المخصوص فى الأذكار عقب الصلوات معتبرة، فلا يتعداها الذاكر وإلا حرم ثوابها..

كما يقول كذلك: يجوز عد هذه الأذكار ونحوها بالأصابع أو النوى أو السبحة أو غيرها:

* لقول ابن عمر : «**رأيتُ رسول اللّـه ﷺ يعقد التسبيح بيمينه**»

(أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وصححه، والترمذى وحسنه)

* * *

بعض الأدعية الواردة بعد الصلاة

عن أبى بكرة أن النبى ﷺ، كان يقول دبر كل صلاة : «**اللّـهم عافنى فى بدنى، اللّـهم عافنى فى سمعى، اللّـهم عافنى فى بصرى، اللّـهم**

إنى أعوذ بك من الكفر والفقر، اللـهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت».

(أخرجه أبو داود والحاكم وصححه السيوطى)

وعن عبد اللـه بن الزبير، قال: كان رسول اللـه ﷺ إذا سلم فى دبر الصلاة أو الصلوات يقول: «**لا إله إلا اللـه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، لا حول ولا قوة إلا باللـه، ولا نعبد إلا إياه، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا اللـه مُخلصين له الدين ولو كره الكافرون».**

(أخرجه الشافعى وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائى)

وعن المغيرة بن شعبة أن النبى ﷺ كان يقول دُبر كل صلاة مكتوبة : «**لا إله إلا اللـه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، اللـهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»**

(أخرجه أحمد والشيخان)

وعن الحارث بن مسلم التميمى، قال : قال لى النبى ﷺ: «**إذا صليتَ الصبح، فقل قبل أن تتكلم: اللـهم أجرنى من النار، سبع مرات فإنك إن مت من يومك ذلك كتب اللـه لك جواراً من النار، وإذا صليت المغربَ، فقل قبل أن تتكلم : اللـهم إنى أسألك الجنة، اللـهم أجرنى من النار، سبع مرات، فانك إن مت من ليلتك تلك كتب اللـه لك جواراً من النار».**

(أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى بسند جيد)

• • •

تعليق

وهكذا ترى أيها المسلم أن الصلاة في المسجد جماعة مع إخوانك المسلمين ـ ولا سيما إذا كنت معتاداً عليها ـ تعتبر دليلاً صادقاً، وبرهاناً ساطعاً على صدق إيمانك:

فعن أبي سعيد أن النبي ﷺ، قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، قال اللـه عز وجل : ﴿ **إنما يعمر مساجد اللـه من آمن باللـه واليوم الآخر**﴾ [1].

(رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والترمذى وحسنه والحاكم وصححه).

هذا بالإضافة إلى الثواب العظيم الذى ستفوز به، ولا سيما إذا كانت الصلاة هذه فى إحدى المساجد الثلاثة التى تشد الرحال إليها، وهى : المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى:

فعن جابر أن النبى ﷺ، قال: «**صلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة فى مسجدى ألف صلاة، وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة**».

(رواه البيهقى)

---

(١) التوبة : ١٨.

وروى أحمد أن النبى ﷺ، قال: **«صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة»**.

وقد عرفت قبل ذلك، أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة.

وعن أبى هريرة رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وسوقه خمساً وعشرين ضِعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه مالم يحدث: اللّهم صل عليه اللّهم ارحمه. ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة»**

(متفق عليه وهذا لفظ البخارى)

* * *

وقد تسأل الأخت المسلمة، بعد أن قرأت الحديثين: **«إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد ..»** ، **«صلاة الرجل فى جماعة..»** بالإضافة إلى قول اللّـه تعالى:

ـ ﴿ فى بيوتٍ أذنَ اللّـه أن ترفعَ ويذكرَ فيها اسمهُ يسبحُ لهُ فيها بالغدوِّ والأصال * رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ اللّـه وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ يخافون يوما تتقلبُ فيه القلوبُ والأبصارُ * ليجزيهمُ اللّـه أَحسنَ ما عملوا ويزيدهم من فضلهِ واللّـه يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حسابٍ﴾ [١]:

---

(١) النور: ٣٦ ـ ٣٨.

قد تسأل الأخت المسلمة بعد أن تقرأ كل هذا : وهل معنى هذا أن المرأة المؤمنة لن تفوز بتلك الثروة من الحسنات التى فاز وسيفوز بها الرجل المؤمن كلما ذهب إلى المسجد ملبياً نداء اللّـه ؟

فنذكرها إن شاء اللّـه تعالى إجابة على تساؤلها، بحكم:

(حضور النساء الجماعة في المساجد)

والخلاصة التى أحب أن تقف عليها الأخت المسلمة، هى أنه يجوز لها أن تخرج إلى المساجد وشهود الجماعة إذا أذن لها زوجها بهذا، وبشرط أن تكون متجنبة ما يثير الشهوة ويدعو إلى الفتنة من الزينة والطيب:

فعن عمر أن النبى ﷺ، قال: « **لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد، وبيوتهن خير لهن** ».

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « **لا تمنعوا إماء** [1] **اللّـه مساجد اللّـه، وليخرجن تفلات** » [2].

(رواهما أحمد وأبو داود)

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ، قال: « **أيُّما امرأة أصابت بُخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة** ».

(رواه مسلم وأبو داود والنسائى بإسناد حسن)

وقد كان النساء على عهد رسول اللّـه ﷺ يحضرن الجماعات، ويصلين خلف الرجال.

ومع هذا.. فإننى أقول للأخت المسلمة: من الخير لك ـ كما قال الرسول ﷺ أن تؤدين الصلاة فى بيتك.

---

(١) إماء اللّـه : جمع أمة، والمراد بها المرأة المسلمة.

(٢) تفلات : أى غير متطيبات.

فعن أم حميد الساعدية رضى اللّـه عنها، أنها جاءت إلى رسول اللّـه ﷺ فقالت: يارسول اللّـه.. إنى أحب الصلاة معك، فقال ﷺ : **«قد علمت وصلاتك فى حجرتك خير لك من صلاتك فى مسجد قومك، وصلاتك فى مسجد قومك خير لك من صلاتك فى مسجد الجماعة»**.

(رواه أحمد والطبرانى)

ولا سيما فى **« هذا الزمان الذى انتشر فيه الفساد وذاع وشاع حتى ملأ البقاع»**.

وقد أنكرت عائشة رضى اللّـه عنها، خروج النساء إلى المساجد لما رأتهن يخرجن وعليهن بعض الزينة، أو على غير الهيئة التى كن يخرجن عليها على عهد رسول اللّـه ﷺ. فقالت رضى اللّـه عنها: **«لو أدرك رسول اللّـه ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد [1]، كما منعه نساء بنى اسرائيل»**.

(رواه البخارى ومسلم)

فأرجو أن تلاحظ الأخت المسلمة هذا، مع ملاحظة أنها لن تُحرم إن شاء اللّـه تعالى من الثواب، ما دامت : ستؤدى فرضها وتصوم شهرها، وتحفظ فرجها، وتطيع زوجها.

وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى:

﴿ من عملَ صالحاً من ذكرٍ أو أنثَى وهو مؤمنٌ فلنحيينهُ حياةً طيبةً ولنجزينهمْ أجرهم بأحسنِ ما كانوا يعملونَ﴾ [2]. ويقول :

(١) أى لمنعهن من الحضور إلى المسجد كما منعت من الحضور إليها نساء بنى اسرائيل.

(٢) النحل : ٩٧.

﴿ إن المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصادقينَ والصادقاتِ والصابرينَ والصابراتِ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدقينَ والمتصدقاتِ والصائمينَ والصائماتِ والحافظينَ فروجهمْ والحافظاتِ والذاكرينَ اللّه كثيراً والذاكراتِ أعدَّ اللّه لهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾[1] .

وحسب الأخت المسلمة أن تعلم كذلك أن اللّه تعالى لن يحاسبها على عدم ذهابها إلى المسجد، بعكس الرجل الذى ورد ترهيبه حتى لا يتخلف عن الصلاة فى المسجد:

فعن ابن عباس رضى اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ : **«من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر» قالوا : وما العذر؟ قال: «خوف أو مرض، لم تقبل منه الصلاة التى صلى».**

(رواه أبو داود وابن ماجه)

وعن معاذ بن أنس رضى اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ : **«الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من سمع منادى اللّه ينادى إلى الصلاة فلا يجيبه».**

(رواه أحمد)

* * *

ثم هناك ملاحظة أخيرة، لابد وأن أعود بها إلى الأخ المسلم، وهى أن:

الإسلام يأمر بالانتشار فى الأرض بعد الصلاة، وإلى هذا يشير اللّه تبارك وتعالى فى سورة الجمعة:

---

(١) الأحزاب : ٣٥.

﴿ فإذا قضيتِ الصلاةُ فانتشروا فى الأرضِ وابتغوا من فضلِ اللّـه واذكروا اللّـه كثيرا لعلكم تفلحونَ﴾ [1].

وهذا معناه أن الإسلام يدعو إلى العمل حتى فى يوم الجمعة الذى يستريح فيه كثير من الناس.

وذلك لأن العمل هو السبيل إلى عزة الإنسان وسعادته:

وقد ثبت أن النبى ﷺ دخل المسجد ذات يوم فرأى أبا أمامة، يجلس فيه فى غير وقت صلاة، فقال له: **«يا أبا أمامة .. مالى أراك جالساً فى المسجد فى غير وقت صلاة» ؟** [2] فقال : هموم لزمتنى وديون يا رسول اللّـه. فقال له صوات اللّـه وسلامه عليه: **«أفلا أعلمك كلاما اذا قلته أذهب اللّـه همك وقضى عنك دينك.. قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللّـهم إنى أعوذ بك من الهم والحزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ من الجُبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال».**

يقول أبو أمامة: «ففعلت ذلك، فأذهب اللّـه همى، وقضى عنى دينى»

(رواه أبو داود)

ويُـفهم من هذا الحديث: أن أبا أمامة رضى اللّـه عنه طبق هذا الدعاء تطبيقاً عملياً، بدليل قوله: ففعلت ذلك.. فكانت النتيجة لهذا التطبيق الإيجابى أن أعانه اللّـه تعالى على ذهاب همومه، وقضاء ديونه.

وقد كان النبى ﷺ، يرغب فى العمل ويرهب [3] من تركه:

---

(١) الجمعة : ١٠.

(٢) ولم تكن تلك عادته.

(٣) يرغب، ويرهب: بضم أوله وكسر ثالثه مع التشديد.

فعن أبى عبد اللّـه الزبير بن العوام رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ: **«لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف اللّـه بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»**.

(رواه البخارى)

كما كان النبى ﷺ يحب العمل ويشجع العامل:

يقول على بن أبى طالب رضى اللّـه عنه: جعُـت يوماً، فذهبت إلى عوالى المدينة [1] أطلب عملاً، فوجدات امرأة قد جمعت تراباً متلبداً تريد بله بالماء، فبادلتها كـل ذنـوب على تمرة، فملأت لها ستة عشر ذَنوباً حتى مَـجلت يـدى [2]، فبسطت كفى لترى أثر العمل، فَعَدَّت لى ستَّ عشرة تمرة.

فأخذتها وذهبت إلى رسول اللّـه ﷺ فأخبرته بما حدث، ففرح وأكل معى منها.

وهكذا.. نرى أن العمل شرف وواجب، لأنه لا كرامة للإنسان إلا بالاستغناء عن الناس، والإستغناء لن يكون إلا بالعمل والإنتاج، والسعى فى مناكب الأرض طلباً للرزق. ولله درُّ على رضى اللّـه عنه فلقد قال:

لحملى الصخر من قِـمم الجبال ... أحب إلىَّ من مِـنَـن الرجال
يقول الناس لى فى الكسب عار ... فقلت العار فى ذل السؤال

هذا مع ملاحظة، أنه ليس فى الإسلام ما يُـسمى بالتواكل ـ وهو ترك العمل [3] ـ وإنما هناك ما يسمى بالتوكل، وهو تفويض الأمر إلى اللّـه تعالى،

(١) اسم مكان فى المدينة.
(٢) أى احمرت.
(٣) بدعوى الزهد.

مع الأخذ بالأسباب:

وفى الحديث الشريف يشير الرسول ﷺ، فيقول: **«لو أنكم توكلتم على اللّـه حق توكله: لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً»** [1].

(رواه الترمذى وقال: حديث حسن)

وقد أخرج الحاكم، وابن أبى الدنيا، عن معاوية بن قرة قال: لقى عمر بن الخطاب ـ رضى اللّـه عنه ـ ناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ فقالوا: متوكلون. قال: كذبتم .. ما أنتم متوكلون، إنما المتوكل الذى ألقى حبة فى الأرض، وتوكل على اللّـه.

* * *

فليذكر الأخ المسلم كل هذا، حتى يكون من العاملين لدنياهم وأخراهم:

ففى الحديث الشريف: **«خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كَلاًّ على الناس»**.

مع ملاحظة: أن لا يُشغل بدنياه عن أخراه، حتى لا يكون من الخاسرين، كما يشير قول اللّـه تعالى:

﴿ يا أيها الذينَ آمنوا لاتُلهكمْ أموالكمْ ولا أولادكمْ عن ذكرِ اللّـه، ومن يفعلْ ذلكَ فأولئكَ همُ الخاسرونَ﴾ [2].

* * *

(١) أى تذهب أول النهار خماصا: أى ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار بطانا: أى ممتلئة البطون.

(٢) المنافقون : ٩.

وقد قرأتُ فى كتب التفسير، وفى (القرطبى) بصفة خاصة.. أن سليمان عليه السلام وهو فى الطريق. بجنوده إلى ميدان من ميادين الجهاد فى سبيل اللّـه.. وعلى بعد ثلاثة أميال من وادى النمل.. سمع النملة تقول لبنى جنسها من النمل: ﴿**يا أيها النملُ ادخلوا مساكنكمْ لايحطمنكمْ سليمانُ وجنودهُ وهمْ لا يشعرونَ . فتبسَّمَ ضاحكًا من قولها وقالَ ربِّ أوزعنى أن أشكرَ نعمتك التى أنعمتَ على وعلى والدىَّ وأن أعمل صالحاً ترضاهُ وادخلنى برحمتكَ فى عبادكَ الصالحينَ**﴾ [1].. ثم أمر الجند بأن يُعسكروا بعيداً عن وادى النمل حتى يدخل النمل مساكنه.. وفعلاً فعل الجند هذا.. ثم ذهبت النملة بعد هذا إلى سليمان لكى تشكره.. فحملتها الريح ثم ألقتها بين يديه.. وهناك قال لها سيدنا سليمان: لـِمَ حَـذَّرت النمل.. أخـفـتِ من ظلمى.. أما علمت أنّـى نبىٌّ عدل؟.. فقالتَ له: أما سمعتَ قولى: ﴿ **وهم لا يشعرون**﴾ ثم قالت: مع أنّـى لم أُرِدْ حَـطْـمَ النفوس، وإنما أردتُ حطم القلوب خشية أن يَتَمنَّـينَ مثل ما أُعطيت، يَـفْـتَـتِـنَّ بالدنيا ويشتغـلنَ بالنظر إليك عن التسبيح والذكر.

** فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى لا تكون من المشار إليهم فى الآية الأولى.. فتكون بهذا والعياذ باللّـه من الخاسرين.

** هذا، مع ملاحظة كذلك أن هذه الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.. لا تساوى تسبيحة واحدة لله رب العالمين.. وقد قرأت حول هذا المعنى أن سيدنا سليمان عليه السلام.. كان ذات يوم ـ وبعد أن استمع من النملة إلى ما وقفنا عليه ـ يركب البساط الذى كان يحمله الريح.. وكان حوله الأهل والأتباع..

---

(١) النمل : ١٨، ١٩.

بل والطيور من كل اتجاه.. فمر بموكبه فوق حقل لفلاح يحرث في أرضه.. فلما نظر الفلاح إلى أعلى ورأى الموكب العظيم هذا.. قال: (سبحان من أعطاكم مُلكاً يا آلَ داود) فنقل الريح الكلمة هذه ووضعها في أُذُنَيْ سليمان عليه السلام.. الذي أمر الريح بأن ينزل بالبساط في حقل هذا الفلاح.. الذي فوجئ بالموكب في حقله.. ثم ناداه سليمان وطلب منه أن يقول الكلمة التي قالها مرة أخرى.. فقال : قلتُ : (سبحان مَنْ أعطاكم مُلكًا يا آل داود)، فعند ذلك قال له سيدنا سليمان : (أما علمتَ يا هذا أن تسبيحةً واحدة منك خير من مُلْك آل داود).

فإذا كان هذا بالنسبة لتسبيحة واحدة.. فما بالك بالشهادتين، أو الصلاة، أو الزكاة، أو الصيام، أو الحج.. أو القرآن الكريم، وتفسيره، والأذكار الواردة عن الحبيب المصطفى صلوات اللّـه وسلامه عليه.. والتي قال النبي ﷺ مرغّباً فيها:

عن أبي هريرة رضي اللّـه عنه: أن رسول اللّـه ﷺ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللّـه وبحمده، سبحان اللّـه العظيم»**.

(رواه الشيخان والترمذي)

وعن أبي هريرة رضي اللّـه عنه عن النبي ﷺ قال: **«لأن أقول سبحان اللّـه، والحمد لله، ولا إله إلا اللّـه، واللّـه أكبر: أحبُّ إليَّ مِمَّا طلعت عليه الشمس»**.

(رواه مسلم والترمذي)

وعن جابر رضي اللّـه عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَن قال سبحان اللّـه العظيم وبحمده غُرِسَتْ له نخلة في الجنة»**.

(رواه الترمذي وحسنه)

وعن أبى سعيد رضى اللّـه عنه قال: قال النبى ﷺ: **«أيعجز أحدكم أن يقرأ ثُلثَ القرآن فى ليلة؟ فَشَقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أيُّنا يُطِيقُ ذلك يا رسول اللّـه: فقال ﷺ: «اللّـه الواحد الصمد ثلث القرآن»**.

(رواه البخارى ومسلم والنسائى)

هذا بالإضافة إلى الحفظ والثواب المشار إليه فى الحديث الآتى:

عن أبى هريرة: أن رسول اللّـه ﷺ قال: **«من قال لا إله إلا اللّـه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة: كانت له عِدْلَ عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحِيت عنه مائة سيئة، وكانت له حِرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلاَّ أحد عمل أكثر من ذلك»**.

(رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه)

وزاد مسلم والترمذى والنسائى: **«ومن قال سبحان اللّـه وبحمده فى يوم مائة مرة: حُطَّت خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البحر»**.

** إن الدنيا إذنْ: لا تُساوى شيئاً بالنسبة لهذا الخير.. ولا يصح أنْ تقاس بكل هذا أو ببعضِ هذا..

فعن جابر رضى اللّـه عنه أن رسول اللّـه ﷺ مَرَّ بالسوق، والناس كَنَفَتَيْه (١)، فَمَرَّ بَجدْيٍ أسكَّ ميت (٢): فتناوله بأذنه، ثم قال: **«أيكم يُحِبُّ أن هذا بدرهم؟»** (٣) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال:

---

(١) أى: عن جانبيه.
(٢) الأَسَكُّ: أى صغير الأذن.
(٣) وفى بعض الروايات: أن يكون له هذا بدرهم.

«أتُحبون أنه لكم؟» قالوا: واللّـه لو كان حيًّـا لكان عيباً فيه لأنه أسَـكُّ، فكيف وهو ميت؟ فقال: **واللّـه للدنيا أهونُ** [1] **على اللّـه من هذا عليكم».**

(رواه مسلم)

وعن سهل بن سعد رضى اللّـه عنه قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«لو كانت الدنيا تعدل**[2] **عند اللّـه جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شَربةَ ماءٍ».**

(رواه ابن ماجه، والترمذى، وقال حديث حسن صحيح)

** ولله درُّ من قال :

هب الدنيا تُوا تـيكا	أليس الموت يأتيكَـا؟
ألا يـــــا طالب الدنيا	دع الدنيا لشانيكا
إلى كـــم تطلب الدنيا؟	وظلُّ الميلِ يكفيكا

* * *

** ومع كل هذا التزهيد فى الدنيا.. فقد ورد الترغيب فى الإكتساب الحلال:

فعن المقدام بن معد يكرب رضى اللّـه عنه عن النبى ﷺ قال: **«ما أكل أحدٌ طعاماً قَطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبىَّ اللّـه داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده».**

رواه البخارى وغيره، وابن ماجه، ولفظه قال: **«ما كَسَب الرجل كسبًا**

(١) أى : أشد هواناً وأحقر .

(٢) أى: تزن وتساوى.

أطيبَ من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة».

يعنى : إذا احتسبه ونوى به الخير كما فى الحديث الآخر: «**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهى له صدقة**».

قال فى الزوائد: (فى إسناده إسماعيل بن عياش ورواه أبو داود والترمذى والنسائى) قلت لفظه عند النسائى: «**إن أطيب ما أكلتم من كسبكم**» وهو عنده من حديث عمرو بن شعيب، قال الماوردى: (أصول المكاسب: الزراعة، والتجارة، والصناعة، وأيها أطيب؟ فيه ثلاثة مذاهب للناس، وأشبهها مذهب الشافعى أن التجارة أطيب، والأشبه عندى أن الزراعة أطيب لأنها أقرب إلى التوكل).

قال النووى: (وحديث البخارى صريح فى ترجيح الزراعة والصنعة لكونهما عمل يده، لكن الزراعة أفضلهما لعموم النفع بها للآدمى وغيره وعموم الحاجة إليها) أ. هـ. عينى.

** وكان داود عليه السلام قد سأل اللّـه عز وجل أن يعلمه حرفة يتعايش منها هو وأهله، فألان اللّـه له الحديد، وعلّـمه صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب.. قال تعالى: ﴿**.. وألنَّا له الحديد ـ أن اعمل سابغات وقَدِّر فى السَّرد واعملوا صالحاً إنى بما تعملون بصير**﴾ (1) وقال سبحانه : ﴿**وعلَّمناه صنعة لَبوسٍ لكم لتُحصِنَكُم من بأسكم فهل أنتم شاكرون**﴾ (2).

---

(1) سورة سبأ : مَن الآية ١٠ـ١١.

(2) الأنبياء : الآية ٨٠.

ومن أجمل ما قرأت فى هذا الموضوع أيضاً : أن سليمان عليه السلام ناجى ربه فقال: يارب .. قد أعطيتنى ما لم تعط أحداً قبلى، وسألتك أن لا تعطيه أحداً بعدى فأعطتنيه، فإن قَصَّرتُ فى شكرك فَدُلَّنِى على عبدٍ هو أشكرلك منى.. فأوحى اللّه تعالى إليه : ﴿ يا سليمان .. عبدٌ يكسب بيديه يسد جوعه ويستر عورته ويعبدنى هو أشكر لى منك..﴾ فقال : يارب.. اجعل كسبى فى يدى. فأتاه جبريل عليه السلام، فعلمه الخوص يتخذ منه القِفاف.. فأول من عمل الخوص سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

** فلاحظ كل هذا أخا الإسلام.. بالإضافة إلى هذا الحديث الآتى الذى أرجو أن يكون سبباً فى حفظ كرامتك، واحترام نفسك.. وحتى تكون مرفوع الهامة بين الناس:

فعن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : **«لأن يحتطب أحدكم حُزمةً على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه»** .

(رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى)

وليكن شعارك دائماً وأبداً هو قول على كرم اللّه وجهه:

لَحملى الصخرَ من قِمم الجبال   أحبُّ إلىَّ من مِنَنِ الرجال

يقول الناسُ لى فى الكسب عار   فقلت العارَ فى ذُلِّ السؤال

والله ولى التوفيق

** هذا.. وأما عن العنصر الثانى، من أركان الميراث المحمدى، وهو:

قراءة القرآن فى المسجد

فالمراد تلاوته سرّاً أى بدون تشويش على نحو مُصل لأن هذا غير جائز شرّعا، بل وقد ورد النهى عنه:

فقد ورد أن النبى ﷺ، قال: «**لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن**».

وقال عليه الصلاة والسلام، للإمام على رضى اللّـه عنه وكرم اللّـه وجهه: «**يا على.. لا تجهر بقراءتك ولابدعائك حيث يصلى الناس، فإن ذلك يفسد عليهم صلاتهم**».

وفى الدر المختار: يحرم رفع الصوت فى المسجد إلا للمتفقهه.

وقال ابن العماد الشافعى رحمه اللّـه : تحرم القراءة جهراً على وجه يشوش على نحو مصل.

* * *

وعلى هذا.. فإننا نستطيع أن نُـشير هنا إلى ماذكره صاحب كتاب «الإبداع فى مضار الابتداع»، حول موضوع:

قراءة سورة الكهف أو غيرها فى المسجد

فقال ـ ما خلاصته ـ (من البدع) قراءة سورة الكهف يوم الجمعة بصوت مرتفع وترجيع. كترجيع الغناء، والناس ما بين راكع وساجد وذاكر وقارئ، متفكر، وناهيك ما يكون من العوام من رفع أصواتهم استحساناً لألحان القارئ من غير مبالاة بحرمة المكان والقرآن، وهذا كله مذموم لا يحل لوجوه:

١ ـ أن فيه تهويشاً على المتعبدين وهو حرام بالإجماع.

٢ ـ فى رفع الأصوات فى المسجد لغير حاجة شرعية.

٣ ـ كونه مخالفاً لما كان فى زمن النبى ﷺ وزمن أصحابه فمن بعدهم، وصح أن أصحاب رسول اللّـه ﷺ، كانوا يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن لاسيما فى المساجد، فإذا كان معه تهويش لا يشك فى التحريم.

ثم يقول بعد ذلك فى الإبداع:

(**نعم**) .. ورد النص على فضل قراءة هذه السورة «**الكهف**» ليلة الجمعة ويومها لكن ليس على هذا الوجه المعروف، بل يقرأ لنفسه فى بيته مطلقاً أو فى المسجد بدون رفع الصوت.

وفى قرة العين وشرحها فتح المعين للعلامة زين الدين الشافعى، ما نصه:

ويكره الجهر بقراءة الكهف وغيرها إن حصل به تأذ لمصل أو نائم كما صرح به النووى فى كتبه.

وقال شيخنا فى شرح العباب: ينبغى حرمة الجهر بالقراءة فى المسجد، وحمل كلام النووى على ما إذا خيف التأذى وعلى كون القراءة فى غير المسجد.

وكُتب الحنفية والحنابلة والمالكية صريحة فى أن قراءة السورة على هذه الكيفية المعتادة ممنوعة، هذا إلى ما يكون من إعراض الناس عن استماعها لاسيما إذا كان القارئ غير حسن الصوت فيقعون فى الحرج، ويقع القارئ فى جريمة تعريض القرآن للإهانة.

ومعلوم أن احترام القرآن واجب فلا يقرأ فى الأسواق ومواضع الإشتغال، فإذا قرأ فيها كان هو المضيع لحرمته، وكان الإثم عليه دون أهل الإشتغال دفعاً للحرج.

وقد أشار كذلك فى الدين الخالص ج٣ ص ٣١٥ إلى أدلة حرمة رفع الصوت فى المسجد، فقال:

أدلة حرمة رفع الصوت فى المسجد

ولا يجوز رفع الصوت فى المسجد ولو بالقرآن والذكر:

لقول أبى سعيد الخدرى: اعتكف رسول اللّـه صلى اللّـه عليه وعلى آله وسلم فى المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر، وقال: **«ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض فى القراءة»**.

(الحديث أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى والبيهقى والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين).

ولحديث وائلة بن الأسقع أن النبى صلى اللّـه عليه وعلى آله وسلم، قال: **«جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم»**.

(أخرجه ابن ماجه والمنذرى بسند فيه الحارث بن نبهان، متفق على ضعفه. وأخرجه عبد الرزاق من طريق آخر عن معاذ بن جبل).

ولحديث ابن عمر أن النبى صلى اللّـه عليه وعلى آله وسلم خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال **«إن المصلى يناجى ربه عز وجل فلينظر بم يناجيه؟ ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»**.

(أخرجه أحمد والبزار والطبرانى بسند صحيح)

ولحديث جابر أن النبى صلى اللّـه عليه وعلى آله وسلم، قال: **« لا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة»**.

(رواه الخطيب)

ثم يقول بعد ذلك فى الدين الخالص [(١)]:

وقد أنكر بعض الصحابة والتابعين على من رفع صوته فى المسجد بقراءة أو ذكر:

---

(١) بتصرف وتلخيص.

قال السائب بن يزيد: كنت مضطجعاً فى المسجد فحصبنى رجل فرفعت رأسى فإذا عمر رضى اللّـه عنه، فقال: اذهب فأتنى بهذين الرجلين، فجئت بهما، فقال: من أين أنتما؟ من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد ما فارقتمانى حتى أوجعتكما جلداً، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول اللّـه صلى اللّـه عليه وعلى آله وسلم؟.

(أخرجه البخارى)

وروى عن سعيد بن المسيب، أنه كان فى المسجد آخر الليل يتهجد، ثم دخل عمر بن عبد العزيز، وكان حسن الصوت فجهر بالقراءة، فلما سمعه سعيد بن المسيب قال لخادمه: اذهب إلى هذا المصلى فقل له: إما أن تخفض من صوتك، وإما أن تخرج من المسجد، ثم أقبل على صلاته، فجاء الخادم فوجد المصلى عمر بن عبد العزيز فرجع، ولم يقل له شيئاً، فلما سلم سعيد قال لخادمه: ألم أقل لك تنهى هذا المصلى عما يفعل؟ فقال: هو الخليفة عمر بن عبد العزيز. قال : اذهب إليه وقل له ما أخبرتك به، فذهب إليه فقال له: إن سعيداً يقول لك: إما أن تخفض من صوتك، وإما أن تخرج من المسجد، فخفف فى صلاته، فلما سلم منها أخذ نعليه وخرج من المسجد.

وروى ابن أبى شيبة بسند جيد عن سالم بن عبد اللّـه أن عمر بن الخطاب اتخذ مكاناً إلى جانب المسجد، يقال له «**البطيحاء**» ، وقال: من أراد أن يغلط، أو يرفع صوتاً، أو ينشد شعراً، فليخرج إليه.

ثم يقول : وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء.

قال فى الدر المختار: يحرم فى المسجد رفع الصوت بذكر إلا للمتفقهه.. أ.هـ.

* * *

فعلى الأخ المسلم، أن يلاحظ كل هذا وهو فى المسجد إذا أراد أن يقرأ قرآناً.

وعليه كذلك إذا أراد أن يواظب على التلاوة: أن يعرف على الأقل بعض ماورد فى :

فضل تلاوة القرآن فى الصلاة وغيرها

وفضل تعلمه وتعليمه

فعن أبى هريرة رضى اللـه عنه، أن رسول اللـه ﷺ، قال : **«ما اجتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوت اللـه يتلون كتاب اللـه ويتدارسونـه [1] فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم اللـه فيمن عنده»** [2].

(رواه مسلم وأبو داود وغيرهما)

وعن أبى موسى الأشعرى رضى اللـه عنه، قال: قال رسول اللـه ﷺ: **«مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة[3] ريحها طيبٌ، وطعمها طيبٌ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لاريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن: كمثل الحنظلة[4] ليس لها ريح، وطعمها مر»**.

وفى رواية : **«مثل الفاجر: بدل: المنافق»**.

(رواه البخارى ومسلم، والنسائى، وابن ماجه)

---

(١) أى يتدبرون معانيه ويفهمون أغراضه ومراميه.

(٢) أى أثنى عليهم سبحانه فى الملأ الأعلى تنويهاً بفضلهم وعلو درجتهم.

(٣) هى ثمرة جمعت بين حلاوة الطعم وطيب الرائحة.

(٤) هى ثمرة تشبه صغار البطيخ ولبها شديد المرارة.

وعن عائشة رضى اللّـه عنها، قالت : قال رسول اللّـه ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران**».

وفى رواية : «**والذى يقرأه، وهو يشتد عليه [1] له أجران**».

(رواه البخارى، ومسلم واللفظ له، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه).

قال النووى: السفرة: جمع سافر ككتاب وكتبة، والسافر : الرسول، والسفرة: الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات اللّـه، وقيل: السفرة الكتبة، والبررة: المطيعون من البر وهو الطاعة، والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذى لايتوقف ولايشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه.

قال القاضى: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة: أن له فى الآخرة منازل يكون فيه رفيقاً للملائكة السفرة لإتصافه بصفتهم من حمل كتاب اللّـه تعالى، قال: ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم.

وأما الذى يتتعتع فيه، فهو الذى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه، فله أجران: أجر بالقراءة، وأجر بتتعتعه فى تلاوته ومشقته.

قال القاضى وغيره من العلماء: وليس معناه أن الذى تتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به (فالماهر به) أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من يعتن بكتاب اللّـه تعالى وحفظه واتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه، واللّـه أعلم.. ا هـ.

وعن أبى ذر رضى اللّـه عنه، قال: قلت: يا رسول اللّـه أوصنى [2]. قال :

(١) أى تثقل عليه القراءة لعدم حفظه وإتقانه.
(٢) أى أعهد إلى بشئ أتمسك به وأحرص عليه.

«عليك بتقوى اللـه فإنها رأس الأمر كله». قلت: يارسول اللـه.. زدني. قال: **«عليك بتلاوة القرآن»** (١)، **فإنه نور لك فى الأرض، وذخر لك فى السماء»** (٢).

(رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل)

وعن جابر رضى اللـه عنه عن النبى ﷺ قال: **«القرآن شافع مشفع** (٣)، **وما حل مصدق** (٤)، **من جعله أمامه** (٥) **قاده إلى الجنة** (٦)، **ومن جعله خلف ظهره** (٧) **ساقه إلى النار»**

(رواه ابن حبان فى صحيحه)

وعن أبى أمامة الباهلى رضى اللـه عنه، قال سمعت رسول اللـه ﷺ، يقول: **«اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**(٨)... الحديث.

(رواه مسلم)

وعن سهل بن معاذ عن أبيه رضى اللـه عنه، أن رسول اللـه ﷺ، قال: **«من**

---

(١) أى واظب على تلاوته مع التدبر والفهم واجعل ذلك أهم ما تحرص عليه.

(٢) أى أن ثواب قراءتك يدخر لك عند الله عز وجل.

(٣) أى أنه يشفع لأهله يوم القيامة كما تشفع الرسل والأنبياء والملائكة والصديقون والشهداء، وقوله (مشفع) : أى إذا أذن له فى الشفاعة.

(٤) ما حل: أى ساع، وقيل: خصم مجادل. وفى الدعاء: (ولاتجعله علينا ماحلا مصدقا).

(٥) أى ائتم به واتبع وصاه واتخذه له قدوة.

(٦) أى سار أمامه حتى يدخله الجنة بإرشاده إلى كل ما يوصل إليها.

(٧) أى أهمل العمل به ولم يرفع به رأسا ونبذه وراء ظهره.

(٨) أى لأهله الذين كانوا يعملون بما فيه مع تلاوته.

قرأ القرآن، وعمل به ألبس والداه تاجاً [1] يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذى عمل بهذا».

(رواه أبو داود، والحاكم، كلاهما عن زبان عن سهل، وقال الحاكم : صحيح الإسناد)

وعن أبى هريرة رضى اللّـه عنه أن رسول اللّـه ﷺ، قال: **«يجئ صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن : يارب حله.. فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يارب زده.. فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يارب.. ارض عنه، فيقال له : اقرأ وارق، ويزداد بكل آية حسنة».**

(رواه الترمذى وحسنه وابن خزيمة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد)

وعن عبد اللّـه بن عمرو بن العاص رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق [2]، ورتل كما كنت ترتل[3] فى الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها».**

(رواه الترمذى، وأبو داود، وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى حسن صحيح)

* قال الخطابى: جاء فى الأثر أن عدد آى القرآن على قدر درج[4] الجنة، فيقال للقارئ: ارق فى الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى [5] درج الجنة فى الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه فى الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.

(١) وهو الاكيل الذى يجعل على رأس الملوك مرصعا بالجواهر.
(٢) أمر من الرقى وهو الصعود.
(٣) الترتيل هو القراءة بتؤدة وتمهل.
(٤) جمع درجة، وهى الواحدة من السلالم التى يصعد إليها.
(٥) يعنى أبعد وأعلى.

وعن عبد اللّـه بن عمرو رضى اللّـه عنهما أن رسول اللّـه ﷺ، قال : **«من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه [١] غير أنه لا يوحى إليه [٢] لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد [٣] ولا يجهل مع من جهل [٤]، وفى جوفه كلام اللّـه»[٥].**

(رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد)

وعن بريدة رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به [٦] ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ضوءه مثل ضوء الشمس، ويكسى والده حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»**

(رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم)

وعن عثمان بن عفان رضى اللّـه عنه عن النبى ﷺ، قال : **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه».**

(رواه البخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه وغيرهم)

قال [٧] فى الترغيب والترهيب معلقاً على هذا الحديث: لاشك أن القرآن العظيم هو كلام اللّـه الذى خرج منه، ثم أنزله وحياً بواسطة الروح الأمين [٨]

---

(١) أى جعلها مندرجة وداخلة بين جنبيه.

(٢) أى لا ينقصه من النبوة إلا الوحى.

(٣) يعنى لا يغضب مع من غضب.

(٤) أى لا يسفه ويحمق ويسرع إليه الغضب.

(٥) أى لا ينبغى أن يفعل ذلك فى حال وجود كلام اللّـه فى جوفه.

(٦) أى أحل حلاله وحرم حرامه ووقف عند حدوده وتأدب بآدابه.

(٧) وهو الشيخ محمد خليل هراس رحمه اللّـه.

(٨) أى الأمين جبريل عليه السلام.

على قلب عبده محمد ﷺ لينذر به من كان حيـا ويحق القول على الكافرين، وليـخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، فلن يتقرب متقرب إلى اللـه بأحب إليه من تلاوة القرآن، وتدبره ومدارسته ثم تعليم ذلك لغيره:

ففى الحديث الحث على تعلم القرآن وتعليمه، وقد سئل الثورى ـ رحمه اللـه ـ عن الجهاد وإقراء القرآن، فرجح الثانى واحتج بهذا الحديث ـ قاله فى الفتح.

قال الشرقاوى: لاريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى.

و«**خيركم**» فى الحديث أفعل تفضيل بمعنى أخيركم، أى أكثركم نفعاً وأرفعكم منزلة، وتعلم القرآن يدخل فيه حفظه وتجويده وإقامة حروفه وإعرابها، ويدخل فيه كذلك مدارسته وتفهم معانيه وتدبر آياته ومعرفة المقاصد الأساسية التى نزل من أجلها ومعرفة أحكامه وحلاله وحرامه... الخ.

وعن عبد اللـه بن مسعود رضى اللـه عنه، قال: قال رسول اللـه ﷺ : «**من قرأ حرفاً (١) من كتاب اللـه (٢) فله به حسنة (٣)، والحسنة بعشر أمثالها (٤)، لا أقول ألم حرف (٥)، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»

(رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح غريب)

* * *

(١) الحرف واحد الحروف التى تتألف منها الكلمات.
(٢) يعنى القرآن وسمى كتابا باعتبار أنه مكتوب.
(٣) وهى إحدى الحسنات يعنى الأعمال الصالحة.
(٤) أى يكون له بكل حرف ثواب عشر حسنات.
(٥) يعنى أن قارئ «ألم» له به ثلاثون حسنة وفضل اللـه أوسع.

** هذا بالإضافة إلى أن هناك سور من القرآن لها أفضلية خاصة، فإليك بعض ما ورد فى هذا من أحاديث شريفة:

قراءة سورة الفاتحة وما ورد فى فضلها

عن أنس رضى اللـه عنه، قال: كان النبى ﷺ فى مسير [1]، فنزل ونزل رجل إلى جانبه[2]، قال: فالتفت النبى ﷺ، فقال: «ألا أخبرك بأفضل القرآن؟ قال: بلى: .. فتلا : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾.

(رواه ابن حبان فى صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم)

وعن أبى هريرة رضى اللـه عنه، قال : سمعت رسول اللـه ﷺ، يقول : «قال اللـه تعالى : **قسمت الصلاة**[3] **بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل**».

وفى رواية «**فنصفها لى ونصفها لعبدى، فإذا قال العبد:** ﴿ **الحمد لله رب العالمين**﴾. قال اللـه : حمدنى عبدى، فإذا قال: ﴿ **الرحمن الرحيم**﴾. قال: أثنى على عبدى، فإذا قال: ﴿ **مالك يوم الدين**﴾. قال : مجدنى عبدى، فإذا قال: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾. قال: هذا بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل، فإذا قال: ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾. قال : **هذا لعبدى ولعبدى ما سأل**» .

(رواه مسلم)

* * *

---

(١) أى فى سفر.

(٢) لم يعرف اسم الرجل.

(٣) يعنى الفاتحة وسميت الصلاة لأنها جزء منها فهو من تسمية الجزء باسم الكل.

قراءة سورة البقرة وآل عمران

وما جاء فيمن قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها :

عن أبى هريرة رضى اللّـه عنه أن رسول اللّـه ﷺ قال: «**لاتجعلوا بيوتكم مقابر** [١] **: إن الشيطان يفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة**»

(رواه مسلم، والنسائى، والترمذى وقال : حسن صحيح وكذلك رواه الإمام أحمد كلهم من حديث سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة)

وعن ابن عباس رضى اللّـه عنهما، قال: بينما جبرائيل قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضاً [٢] من فوقه فرفع رأسه [٣]، فقال: هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم [٤]، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة [٥]، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته [٦].

(رواه مسلم، والنسائى، والحاكم)

* وعن أبى أمامة الباهلى رضى اللّـه عنه، قال: سمعت رسول اللّـه ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزّهراوين** [٧] **: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة**

---

(١) المعنى: لا تجعلوها كالأماكن الخربة المهجورة بخلوها من الذكر وقراءة القرآن.

(٢) أى صوتا.

(٣) والضمير لجبرائيل عليه السلام.

(٤) أى الملك النازل من السماء على النبى ﷺ.

(٥) أى من قوله تعالى: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ..﴾ (البقرة: ٢٨٥) إلى آخر السورة.

(٦) أى إلا أعطاك اللّـه ما سألت فيه.

(٧) تثنية زهراء، أنثى الأزهر قال النووى: سميتا بذلك لنورهما وهديتهما وعظيم أجرهما.

كأنهما غمامتان[1] - أو غيابتان - أو كأنهما فرقان من طير صواف [2] تحاجّان عن أصحابهما [3]. اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة [4]، ولا تستطيعها البطلة».

قال معاوية بن سلام: بلغنى أن البطلة: السحرة (رواه مسلم)

* وعن أبى ذر رضى اللّـه عنه أن رسول اللّـه ﷺ، قال: «**إن اللّه ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم، فإنهما: صلاة، وقرآن، ودعاء**»

(رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخارى، وكذلك رواه الإمام أحمد بعضه بلفظ:

«**أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبى قبلى**».

وكذلك رواه ابن مردويه إلى قوله : «تحت العرش»)

وعن عبيد بن عمير رضى اللّـه عنه أنه قال لعائشة رضى اللّـه عنها : أخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول اللّـه ﷺ. قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالى، قال: «**يا عائشة.. ذرينى [5] أتعبد الليلة لربى**». قلت: واللّـه إنى أحب قربك، وأحب مايسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلى. قالت: فلم يزل يبكى حتى بل حجره [6]. قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكى

(١) تثنية غمامة.

(٢) يعنى باسطات أجنحتها فى الهواء.

(٣) أى تجادلان وتدافعان عنهم.

(٤) أى أن تركها وإهمالها يعود عليه بالحسرة.

(٥) أى اتركينى.

(٦) بكسر فسكون: حضن الإنسان وهو ما بين الساعدين يعنى الصدر إلى السرة.

ﷺ حتى بَـل لحيتَه. قالت: ثم بكى حتى بَـل الأرض، فجاء بـلال يُـؤذنه [1] بالصلاة، فلما رآه يبكى، قال: يارسول اللّـه.. تبكى، وقد غفر اللّـه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» [2]؟. لقد نزلت [3] على الليلة آية.. ويل[4] لمن قرأها، ولم يتفكر فيها [5] : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض..** ﴾ ... الآية. وهى قوله تعالى:

﴿ **إن فى خلقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ والفلكِ التى تجرى فى البحرِ بما ينفعُ الناسَ وما أنزلَ اللّـه من السماءِ من ماءٍ فأحيا بهِ الأرضَ بعد موتها وبَثَّ فيها من كلِّ دابةٍ وتصريفِ الرياحِ والسحابِ المسخرِ بين السماءِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ** ﴾ [6].

(والحديث رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره)

قراءة آية الكرسى وما جاء فى فضلها

* عن أبى بن كعب رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ: «**يا أبا المنذر** [7] **.. أتدرى أى آية من كتاب اللّـه معك أعظم**»؟ **قلت**: «**اللّـه لا إله إلا هو الحى القيوم**» [8] **قال: فضرب فى صدرى، وقال** «**ليهنك** [9] **العلم أبا المنذر**»

(رواه مسلم وأبو داود)

---

(١) أى يعلمه.
(٢) صيغة مبالغة من الشكر.
(٣) وفى رواية (أنزلت).
(٤) يعنى عذاب وهلاك، وقيل: واد فى جهنم.
(٥) أى لم يتدبر فيما اشتملت عليه من الحجج والبراهين.
(٦) البقرة : ١٦٤.
(٧) كنية أبى رضى الله عنه.
(٨) البقرة : ٢٥٥.
(٩) تهنئة له بما وصل إليه من علم الكتاب.

وورد فى حديث رواه أبو هريرة رضى اللّـه عنه: «لكل شىء سنام [1]، **وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هى سيدة القرآن»**

(رواه الترمذى، ولفظ الحاكم)

«سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن، لا تُقرأ فى بيت، وفيه شيطان إلا خرج منه: آية الكرسى».

قال فى الترغيب والترهيب [2]: وإنما كانت هذه الآية سيدة آى القرآن لاشتمالها على جملة كبيرة من صفات الرب جل شأنه فى الإثبات وفى النفى، فقد أخبر فيها سبحانه عن نفسه بأنه اللّـه الذى لا معبود بحق فى الوجود كله إلا هو، وأنه المتصف بالحياة الكاملة التى لا يلحقها موت ولافناء، وأنه القائم بنفسه المستغنى عن خلقه مع افتقارهم جميعاً إليه، وأنه لا تغلبه سِنَـةٌ أى: نعاس ولا نوم، ثم أخبر عن تمام ملكه وسلطانه، وأنه له كل ما فى السموات والأرض، وأن واحداً لا يجرؤ أن يشفع عنده إلا بإذنه، ثم أخبر عن إحاطة علمه وشموله للأمور الماضية والمستقبلية، وأن الخلق لا يعلمون إلا ما أذن لهم أن يعلموه، وأن كرسيه وسع السموات والأرض وما فيهما وأنه العلى الذى ثبت له وصف العلو بكل معانيه: علو الذات، فهو على بذاته فوق جميع خلقه، وعلو الصفات، فليس لغيره صفة تساوى صفته، وعلو القهر، فهو القاهر فوق عباده، وعلو القدر والشرف، فهو الذى كمل فى سؤدده ومجده وأنه العظيـم الذى لاحَـدَّ لعظمته:

---

(١) وهو أعلى شئ فيه.

(٢) تعليقا على الهامش ج٢ ص ٦٢٢.

فلا غرو إذن أن كانت هذه الآية العظيمة، هى أعظم آية فى كتاب اللّـه عز وجل.

* * *

قراءة سورة الكهف وما جاء فى فضلها

عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّـه عنه عن النبى ﷺ، قال: «**من قرأ الكهف كما أنزلت، كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة** (١) **ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يُسلط عليه** (٢) **ومن توضأ، ثم قال: سبحانك اللّهم وبحمدك لا إله إلا أنت.. أستغفرك وأتوب إليك: كُتِب فى رق، ثم طبع بطابع، فلم يُكسر إلى يوم القيامة**».

(رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم)

وعن أبى الدرداء رضى اللّـه عنه أن نبى اللّـه ﷺ، قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف** (٣) **عُصِم من الدجال**»

(رواه مسلم واللفظ له)

ورواه أبو داود والنسائى، وعندهما : «**عُصِم من فتنة الدجال**». وهو هكذا فى بعض نسخ مسلم.

وفى رواية لمسلم وأبى داود: «**مِن آخر سورة الكهف**» (٤).

---

(١) أى أن امتداد هذا النور يكون بقدر المسافة بين المكان الذى قرأها فيه وبين مكة.

(٢) أى لم يتمكن من فتنته.

(٣) يعنى من أول سورة الكهف إلى قوله تعالى ﴿وهيئ لنا من امرنا رشدا﴾ (الكهف: ١٠).

(٤) أى من قوله تعالى ﴿ الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى﴾ (الكهف: ١٠١) إلى آخر السورة.

وفى رواية للنسائى : **«من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف»** .

ورواه الترمذى ولفظه: **«من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عُصِم من فتنة الدجال»** .

* * *

* وقد ورد كذلك فى فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، وليلة الجمعة، أحاديث شريفة، فإليك بعضها:

عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّـه عنه أن النبى ﷺ، قال: **«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»** [1].

(رواه النسائى والبيهقى مرفوعاً، الحاكم مرفوعا وموقوفا أيضاً. وقال: صحيح الإسناد، ورواه الدارمى فى مسنده موقوفاً على أبى سعيد، ولفظه قال: **«من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق»** [2].

وعن ابن عمر رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان [3] السماء يُضئ له يوم القيامة وغُفر له ما بين الجمعتين»** .

(رواه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره بإسناد لا بأس به)

* * *

---

(١) يعنى أن اللّـه عز وجل يرزقه نورا فى قلبه يهديه ويسدده إلى الجمعة التى بعدها، قال فى الجامع الصغير: فيندب قراءتها يوم الجمعة وكذا ليلتها، نص عليه الشافعى.

(٢) أى البيت الحرام.

(٣) العنان : السحاب.

** وإتماما للفائدة إليك كذلك هذه الأحاديث:

عن أبى هريرة رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ: **«من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غُفر له»**.

وفى رواية : **«من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف مَلك»**

(رواه الترمذى والأصبهانى، ولفظه: «من صلى بسورة الدخان فى ليلة بات يستغفر له سبعون ألف ملك»).

ورواه الطبرانى، والأصبهانى أيضاً من حديث أبى أمامة، ولفظهما قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة - أو يوم الجمعة - بنى اللّـه له بيتاً فى الجنة»**.

وروى عنه رضى اللّـه عنه، قال: رسول اللّـه ﷺ : **«من قرأ سورة يس فى ليلة الجمعة غُفر له»**

(رواه الأصبهانى)

وروى عن ابن عباس رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ: **«من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى عليه اللّـه وملائكته حتى تغيب الشمس»**.

(رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير) (١).

* * *

(١) قال فى شرح الجامع الصغير: إسناده ضعيف.

قراءة سورة يس وما جاء فى فضلها

عن معقل بن يسار رضى اللّـه عنه أن رسول اللّـه ﷺ، قال: **«قلب [1] القرآن يس لا يقرؤها رجل يُريد اللّـه والدار الآخرة إلا غفر له، اقرأوها على موتاكم»[2].**

(رواه أحمد، وأبو داود، والنسائى، واللفظ له، وابن ماجه والحاكم وصححه).

وروى عن أنس رضى اللّـه عنه، قال رسول اللّـه ﷺ : **«إن لكل شئ قلباً، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب اللّـه له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات».**

زاد فى رواية: دون يس.

(رواه الترمذى، وقال: حديث غريب)

وعن جندب رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ: **«من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه اللّـه غُفر له».**

(رواه مالك، وابن السنى، وابن حبان فى صحيحه)

• • •

---

(١) يعنى أنها منه بمنزلة القلب للإنسان.

(٢) قال ابن كثير: ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى، وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح.. والله تعالى أعلم.. قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان، قال: كان المشيخة يقولون: إذا قرئت يعنى يس عند الميت خفف الله عنه بها.

قراءة سورة ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾

وما جاء فى فضلها

عن أبى هريرة رضى اللّـه عنه عن النبى ﷺ، قال: «**إن سورة فى القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غُفر له** [1]، **وهى ﴿ تبارك الذى بيده الملك﴾**».

(رواه أبو داود، والترمذى وحسنه واللفظ له، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد).

وروى عن ابن عباس رضى اللّـه عنهما، قال: ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباء، [2] على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبى صلى اللّـه عليه وسلم، فقال: يارسول اللّـه.. ضربت خبائى على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبى ﷺ: «**هى المانعة** [3]، **هى المنجية تنجيه من عذاب القبر**».

(رواه الترمذى وقال: حديث غريب)

١٠٦وعن ابن عباس رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ: «**وددت أنها فى قلب كل مؤمن - يعنى: ﴿ تباركَ الذى بيدهِ الملكُ ﴾**».

(رواه الحاكم، وقال: هذا إسناده عند اليمانيين صحيح)

---

(١) يعنى أن هذا الرجل كان يكثر من قراءتها فلما مات شفعت له عند اللّـه أن يمحو عنه ذنوبه وخطاياه فاستجاب اللّـه شفاعتها فيه وغفر له بسببها.

(٢) الخباء ما يصنع من وبر أو صوف أو شعر للسكن.

(٣) يعنى أنها تمنع عن صاحبها عذاب القبر.

وعن عبد اللّـه بن مسعـود رضى اللّـه عنه، قـال: «**يُؤتَى الرجل فى قبره** [1] **فتؤتى رِجلاه، فتقول: ليس لكم على ما قِبلى سبيل** [2] **كان يقرأ سورة الملك، ثم تُؤتى من قِبل صدره، أو قال بطنه - فيقول: ليس لكم على ما قِبَلِ سبيل كان يقرأ فى سورة الملك، ثم يؤتى من قِبل رأسه، فيقول: ليس لكم على ما قِبلى سبيل، كان يقرأ فى سورة الملك، فهى المانعة تمنع عذاب القبر، وهى فى التوراة سورة الملك** [3] **من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب**» [4].

(رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وهو فى النسائى مختصرا).

«من قرأ: ﴿ **تبارك الذى بيده الملك**﴾ كل ليلة منعه اللّـه عز وجل بها من عذاب القبر، وكنا فى عهد رسول اللّـه ﷺ نُسميها المانعة، وإنها فى كتاب اللّـه عز وجل سورة من قرأ بها فى كل ليلة فقد أكثر وأطاب»

• • •

قراءة ﴿ إذا الشمس كورت﴾ وما يذكر معها

عن ابن عمر رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى يومَ القيامة كأنه رأى العين** [5]**: فليقرأ ، ﴿إذا الشمس**

(١) أى تأتيه الملائكة الموكلون بعذاب أهل القبور.

(٢) أى ليس لكم طريق إلى تعذيب ما هو قبلى أى : جهتى وناحيتى.

(٣) يعنى أنها مسماه فى التوارة بهذا الاسم.

(٤) أى فقد قدم خيرا كثيرا طيبا.

(٥) يعنى كأنه يراه ويشاهده بعينه.

كُورت﴾ [1] **و﴿إذا السماء انفطرت﴾** [2] **و﴿إذا السماء انشقت﴾** [3].

(رواه الترمذى وغيره، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد)

* * *

قراءة ﴿ إذا زلزلت﴾ وما يذكر معها

عن ابن عباس رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **﴿إذا زلزلت﴾**: تعدل نصف القرآن [4] **و﴿ قل هو اللّـه أحد﴾**: تعـدل ثلث القـرآن [5] ، **و ﴿ قل يا أيها الكافرون﴾**: تعدل ربع القرآن [6]،

(رواه الترمذى والحاكم كلاهما عن يمان بن المغيرة العنزى وقال الترمذى حديث غريب.. وقال الحاكم : صحيح الإسناد).

قراءة ﴿ ألهاكم التكاثر﴾

عن ابن عمر رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ: **«ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم»**؟ قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: **«أما يستطيع أحدكم أن يقرأ : ﴿ألهاكم التكاثر﴾»**.

(رواه الحاكم عن عقبة بن محمد عن نافع عن ابن عمر، ورجال إسناده ثقات إلا أن عقبة لا أعرفه).

* * *

---

(١) أى سورة التكوير.
(٢) أى سورة الإنفطار.
(٣) أى سورة الإنشقاق.
(٤) أى فى الثواب.
(٥) وذلك لاشتمالها إجمالا على عقائد القرآن.
(٦) وذلك لما فيها من البراءة من الكفار وعبادتهم.

قراءة ﴿ قل هو اللـه أحد ﴾ وما جاء فى فضلها

عن أبى هريرة رضى اللـه عنه، قال: أقبلت مع رسول اللـه ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: ﴿ **قل هو اللـه أحد * اللـه الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد** ﴾. فقال رسول اللـه ﷺ «**وجبت**»، فسألته: ماذا يا رسول اللـه؟. فقال: «**الجنة**» فقال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره [1]، ثم فرقت [2] أن يفوتنى الغداء مع رسول اللـه ﷺ، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب.

(رواه مالك واللفظ له الترمذى وليس عنده قول أبى هريرة: فأردت .. إلى آخره، وقال: حديث حسن صحيح غريب، والنسائى، والحاكم وقال: صحيح الإسناد)

وعنه رضى اللـه عنه، قال: قال رسول اللـه ﷺ : «**احشدوا [3] فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد [4]، ثم خرج النبى صلى اللـه عليه وسلم، فقرأ: ﴿ قل هو اللـه أحد ﴾. ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء فذلك الذى أدخله، ثم خرج نبى اللـه صلى اللـه عليه وسلم، فقال: إنى قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن**» [5].

(رواه مسلم، والترمذى، وقال: حسن صحيح غريب)

وعن عائشة رضى اللـه عنها، أن النبى ﷺ، بعث رجلاً على سَـرِيَّـة [6]، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختتم بـ ﴿**قل هو اللـه أحد**﴾ [7]، فلما

---

(١) أى أعلمه بتلك البشارة السارة.

(٢) فرقت بكسر الراء: أى خفت أن يفوتنى تناول الطعام.

(٣) أى اجتمعوا.

(٤) يعنى اجتمع من اجتمع.

(٥) وأكد الجملة بألا الاستفتاحية وبأن لدفع كل توهم وإنكار.

(٦) السرية: هى القطعة من الجيش أو الجيش الصغير وتسمى الكتيبة أيضا وهى فى العادة نحو ٤٠٠ جندى.

(٧) يعنى بعد أن يقرأ السورة يختم القراءة بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾، ثم يركع.

رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ، فقال: «**سلوه لأى شئ يصنع ذلك**»(١)، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبى ﷺ:

«**أخبروه أن اللـه يحبه**» (٢)

(رواه البخارى، ومسلم والنسائى)

ورواه البخارى أيضا والترمذى عن أنس أطول منه، وقال فى آخره: فلما أتاهم النبى ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «**يافلان.. ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة**»؟ **فقال: إنى أحبها، فقال «حبك إياها أدخلك الجنة»**:

هذا الحديث (٣): رواه البخارى تعليقاً مجزوماً به فى كتاب الصلاة، فقال: وقال عبيد الله يعنى ابنَ عمر عن ثابت عن أنس رضى اللـه عنه، قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم فى مسجد قُباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم فى الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ ﴿ **قل هو اللـه أحد**﴾، حتى يفرغ منها، ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلكِ فى كل ركعة. فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يـؤمهم غيره، فلما أتاهم النبى ﷺ أخبروه، فقال: «**يا فلان...**» الخ. الحديث.

* * *

(١) أى ما الذى دعاه لأن يفعل ذلك.

(٢) لأنه فعل ما يوجب محبة اللـه عز وجل وهو محبته لقراءة السورة المتضمنة لصفات الرب جل شأنه ومحبة اللـه للعبد صفة له سبحانه على ما يليق به تقتضى إكرامه وإثابته وتقريبه.

(٣) كما يقول معلقا فى الترغيب والترهيب هامش ج ٢ ص ٦٤٩.

قراءة المعوذتين

عن عقبة رضى اللّـه تعالى عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ: **«ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾».**

(رواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود، ولفظه قال: كنت أقود برسول اللّـه ﷺ فى السفر (١)، فقال: **«يا عقبة.. ألا أعلمك خير سورتين قرئتا»،** فعلمنى: **﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾.** فذكر الحديث.

وفى رواية لأبى داود، قال: بينمـا أنا أسيـر مع رسـول اللّـه ﷺ بين الجحفة (٢) والأبواء (٣) إذ غشيتنا (٤) ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول اللّـه ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس، ويقول: **«يا عقبة .. تعوذ بهما، فما تعوذ متعوذ بمثلهما».** قال: وسمعته يؤمنا بهما فى الصلاة.

ورواه ابن حبان فى صحيحه، ولفظه:

قلتُ يا رسول اللّـه أقرئنى آياً من سورة هود، وآياً من سورة يوسف (٥)، فقال النبى ﷺ: **«يا عقبة بن عامر.. إنك لن تقرأ سورة أحب إلى اللّـه، ولا أبلغ عنده من أن تقرأ: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، فإن استطعت أن لا تفوتك فى الصلاة، فافعل».**

---

(١) أى كان يقود بغلة رسول اللّـه صلى اللّـه عليه وسلم فى سفر من الأسفار.

(٢) الجحفة: هى ميقات أهل الشام، وهى بلدة شديدة الوباء.

(٣) والأبواء: قرية بين مكة والمدينة تنسب إلى جبل هناك.

(٤) أى أحاطت بنا.

(٥) وفى رواية النسائى: «أقرأنى سورة هود أو سورة يوسف».

(رواه الحاكم بنحو هذا، وقال: صحيح الإسناد، وليس عندهما ذكر : **﴿قل أعوذ برب الناس﴾**.

* وعن جابر بن عبد اللّـه رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«اقرأ يا جابر»**، فقلت: وما أقرأ بأبى أنت وأمى؟ قال: **﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** و**﴿ قل أعوذ برب الناس﴾**. فقرأتهما[1]، فقال **«أقرأ بهما[2] ولن تقرأ بمثلهما»**

(رواه النسائى، وابن حبان فى صحيحه)

وذلك[3] .. لأن هاتين السورتين قد اشتملتا على كل ما يُستعاذ باللّـه منه مما يُتوقع شره أو أذاه، ففى السورة الأولى يأمر اللّـه نبيه، أن يقول: **﴿أعوذ برب الفلق﴾** [4] أى ألتجئ إليه وأحتمى به وأتحصن **﴿ من شر ما خلق﴾** أى من شر كل ما فيه شر من خلقه، فهى جملة عامة تتناول كل شر من أى مخلوق، كما فى الحديث **«أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته»** ثم عطف على ذلك بعض الشرور الخاصة من باب عطف الخاص على العام، فقال **﴿ ومن شر غاسق إذا وقب﴾** أى ومن شر الليل إذا أقبل بظلمته فغطى الأشياء، ولا شِك أن الليل مسرح لكثير من المؤذيات التى تجد فى ظلمته ستاراً تعمل تحته وتـصيب من تصادفه، ففيه تخرج الهـوام والسباع واللصوص وقُـطاع الطرق ومردة الجن وغير هؤلاء، ثم قال: **﴿ ومن شر النفاثات فى العقد﴾** والمراد بهم السحرة الذين يعقدون فى سحرهم عقداً يتلون عليها رقى وعزائهم ثم ينفثون فيها من ريقهم، والنفاثات جمع نفاثة، وهى صيغة مبالغة

---

(١) أى كما أمرنى رسول اللّـه صلى الله عليه وسلم.

(٢) أى دوام على القراءة بهما.

(٣) كما يقول فى هامش الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٦٥٢.

(٤) الفلق: أى الصبح.

كعلامة والمراد الكثير النفث، أو المراد بها نفوس السحرة، ثم قال: **﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾** ولا شك أن الحاسد وقد أكل قلبه الغيظ على المحسود يجتهد ما وسعه الجهد فى إزالة النعمة عنه.

وفى السورة الثانية: يأمره ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعوذ برب الناس ومليكهم وإلههم ومعبودهم من شر كل وسواس خناس من الجنة والناس.

ثم يقول : وعلى الجملة فهاتان السورتان العظيمتان لم تـدعا شيئاً مما ينبغى أن يستعاذ منه إلا ذكرتاه إما تعييناً وإما دخولاً فى العموم.

* * *

فليذكر الأخ المؤمن المعمر لبيوت اللـه والقارئ للقرآن الكريم كل هذا: حتى يـجـدّ ويجتهد فى تلاوته، وحتى يكون من المنتفعين والنافعين بهذا الميراث المحمدى، الذى قال عنه صلوات اللـه وسلامه عليه، فى حديث رواه الترمذى:

«كتاب اللـه .. فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه اللـه، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله اللـه، وهو حبل اللـه المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : **﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدى إلى الرشد﴾**(1)، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم».

* * *

هذا بالإضافة إلى ما قاله عنه الدكتور (موريس بوكاى الفرنسى) :

(1) الجن : ١، ٢.

«إنه بمثابة ندوة علمية للعلماء، ومعجم لغة للغويين، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه، وكتاب عروض لمحب الشعر وتهذيب العواطف، ودائـرة معـارف للشرائـع والقـوانين، وكل كتـاب سمـاوى جاء قبـله لا يُساوى أدنى سورة من سوره فى حسن المعانى وانسجام الألفاظ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية فى الأمة الإسلامية يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب، واقتباساً لآياته: يُزينون بها كلامهم، ويبنون عليها آراءهم، كلما ازدادوا رفعة فى القدر، ونباهة فى الفكر» اهـ.

* * *

ومن هذا يتبين لك، أو يتأكد لك قيمة هذا الميراث العظيم الذى يدعو إلى العلم بأوسع معانيه، وأبعد حدوده، وأهم تلك العلوم التى يوحى بها القرآن الكريم [1]:

١ ـ علوم اللغة العربية: وهذه يقتضيها حسن النظر فى كتاب اللّـه، قال تعالى:

ـ ﴿ إنا جعلناهُ قرآناً عربيّاً لعلكمْ تعقلونَ﴾ [2].

٢ ـ علوم الحيوان والتشريح والطب والنفس:

وهذه تقضيها الدعوة إلى النظر فى النفس، والناس، والدواب، والأنعام، ويوحى بها الأمر باتخاذ الوقاية، قال تعالى:

ـ ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [3] .

---

(١) كما جاء فى كتاب (التربية فى كتاب اللّـه) للشيخ محمود عبد الوهاب فايد.

(٢) الزخرف: ٣ .

(٣) الذاريات: ٣١.

ـ ﴿ ولقدْ خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طينٍ * ثم جعلناهُ نطفةً فى قرارٍ مكينٍ * ثم خلقنا النطفةَ علقةً فخلقنا العلقةَ مضغةً فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر * فتباركَ اللّه أحسنُ الخالقينَ﴾ (١) .

ـ ﴿ ولا تُلقوا بأيديكمْ إلى التهلكةِ﴾ (٢) .

ـ ﴿ وإن لكمْ فى الأنعامِ لعبرةً﴾ (٣) .

٣ ـ علوم الجيولوجيا والجغرافيا والفلك والحساب: وهذه توحى بها الدعوة إلى النظر فى الجبال وطبقات الأرض وأحوالها والدعوة إلى النظر فى الشمس، والقمر والأفلاك، والاهتداء بها فى معرفة السنين والحساب..

قال تعالى:

ـ ﴿أولم ير الذين كفروا أن السمواتِ والأرضَ كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنَا من الماءِ كل شىءٍ حىٍّ أفلا يؤمنونَ * وجعلنا فى الأرضِ رواسىَ أن تميدَ بهم وجعلنا فيها فِجاجاً سُبلاً لعلهم يهتدونَ * وجعلنا السماءَ سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضونَ * وهو الذى خلقَ الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ كل فى فلكٍ يسبحونَ﴾ (٤).

ـ ﴿ هو الذى جعل الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وَقَدَّرَهُ منازلَ لتعلموا

(١) المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

(٢) البقرة : ١٩٥.

(٣) النحل : ٦٦.

(٤) الأنبياء : ٣٠ ـ ٣٣.

عددَ السنينَ والحسابَ ما خلقَ اللّـه ذلك إلا بالحقِّ يفصلُ الآياتِ لقومٍ يعلمونَ» (١).

٤ ـ علوم النبات: وهذه تقتضيها الدعوة إلى النظر فيما تنبته الأرض من زروع وأشجار، وثمار وأزهار..

قال تعالى :

ـ **« هو الذى أنزلَ من السماءِ ماءً لكم منهُ شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تُسيمونَ * يُنبت لكم به الزرعَ والزيتونَ والنخيلَ والأعنابَ ومن كلِّ الثمرات * إن فى ذلك لآيةً لقومٍ يتفكرونَ»** (٢).

وقوله تعالى:

ـ **« وفى الأرضِ قطعٌ متجاوراتٌ وجناتٌ من أعنابٍ وزرعٌ ونخيلٌ صِنوانٌ وغير صِنوانٍ يُسقى بماءٍ واحدٍ ونفضلُ بعضها على بعضٍ فى الأُكل * إن فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون»** (٣).

٥ ـ علوم التاريخ والآثار: وهذه تقتضيها الدعوة إلى السير فى الأرض، وتعرف أخبار الأوائل، والإتعاظ بها..

قال تعالى:

ـ **« أو لم يسيروا فى الأرضِ فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من**

---

(١) يونس : ٥.

(٢) النحل : ١٠، ١١.

(٣) الرعد : ٤.

قبلهم كانوا أشدَّ منهمْ قوةً وأثاروا الأرضَ وعَمَروها أكثر مما عَمَروها وجاءتهم رسلهم بالبيناتِ﴾ (١).

ـ ﴿ أفلمْ يسيروا فى الأرضِ فينظروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذين من قبلهمْ كانوا أكثر منهم وأشدَّ قوةً وآثاراً فى الأرضِ﴾ (٢).

وللقرآن سبق فى هذا.. فقد قص علينا أحسن القصص، وحدثنا عن أخبار الرسل مع أتباعهم ..

قال تعالى:

ـ ﴿ تلكَ من أنباءِ الغيبِ نوحيها إليكَ ما كنتَ تعلمها أنتَ ولا قومكَ من قبلِ هذا﴾ (٣).

وقوله تعالى:

ـ ﴿ لقدْ كانَ فى قصصهمْ عبرةٌ لأولى الألبابِ ما كانَ حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيلَ كل شيءٍ وهدى ورحمةً لقومٍ يؤمنونَ﴾ (٤).

٦ ـ علوم الجندية والجيش: ويقتضيها قوله تعالى:

ـ ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباطِ الخيلِ ترهبونَ بهِ عدو اللّه وعدوكمْ﴾ (٥).

---

(١) الروم : ٩.

(٢) غافر : ٨٢.

(٣) هود : ٤٩.

(٤) يوسف: ١١١.

(٥) الأنفال: ٦٠.

هذا هو القرآن نبراس الهدى دستورك الأسمى المنير المشرق
آياته نبع العلوم جميعها من قال لا فهو الغبى الأخرق
علم الطبيعة والحياة وحكمة الإيجاد من تبيانه تتدفق
وسياسة الدنيا بأقوم شرعة بين الورى بسواه لا تتحرك
فيه القضاء لحل كل قضية عن حلها أهل السياسة أخفقوا
عودوا إلى القرآن عودة باحث ترك الهوى والعقل حر مطلق
وخذوا دساتير الحياة جميعها من آيه وعلى الخليقة أشفقوا
فهو الدواء لكل أدواء الورى وهو الطبيب لكل سقم صدقوا
فالغرب لما سار سار بنوره وعلا وقبل الغرب سار المشرق
يا قوم أحمد مجدكم قرآنكم فهو الكتاب العالمى الأصدق

* * *

ـ فليذكر الأخ المؤمن كل هذا، حتى يكون من أهل القرآن الكريم المتدبرين فى آياته، وليكن كذلك من حفاظه حتى يكون من حملة هذا التراث العظيم: وحسبه إن فعل ذلك أن يُذكر نفسه دائماً وأبداً بهذين الحديثين الشريفين:

عن أبى هريرة رضى اللّـه عنه، عن النبى ﷺ، قال: **«يجئ صاحب القرآن يوم القيامة فيقول يارب حَلّـه.. فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زِده، فيلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يارب ارض عنه، فيرضى، فيقول له: اقرأ وارق ويُزاد بكل آية حسنة»**

(رواه الترمذى وقال: حديث صحيح)

وعن عبد اللّـه بن عمرو رضى اللّـه عنهما، قال: قال رسول اللّـه ﷺ :

«يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنتَ ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»

(رواه أبو داود)

الترهيب من نسيان القرآن بعد حفظه

وإذا كنت أذكره بذلك مبشراً إياه، فإننى أوصيه كذلك إذا كان من حملة القرآن أن لا ينساه:

فعن أنس رضى اللّـه عنه، قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«عُرِضت علىَّ أجور أمتى حتى القذاة [1] يخرجها من المسجد، وعُرِضت علىَّ ذنوب أمتى فلم أر فيها ذنباً أعظمَ من سورة من القرآن، أو آية أُوتيها رجلٌ ثم نَسِيَها»** [2].

(رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وابن خزيمة فى صحيحه، كلهم من رواية المطلب بن عبد اللّـه بن حنطب عن أنس).

وعن سعد بن عبادة رضى اللّـه عنه : قال: قال رسول اللّـه ﷺ : **«ما من امرىء يقرأ القرآن، ثم ينساه إلا لقى اللّـه أجذم»** [3].

(رواه أبو داود عن يزيد بن أبى زيادة عن عيسى بن فائد عن سعد)

* * *

---

(١) القذاة: ما يقع فى العين أو الشراب من تبنة ونحوها وجمعه قذى.

(٢) وهذا دليل على أن نسيان القرآن بعد حفظه كبيرة من الكبائر.

(٣) أى: وهو أجذم، كما فى رواية أخرى.. والأجذم: هو المقطوع اليد أو الأنامل والمصاب بداء الجذام، وهو داء كالبرص يسبب تساقط اللحم (والعياذ بالله).

دعاء حفظ القرآن الكريم

وإذا كان الأخ المؤمن من الذين يتفلت القرآن من صدورهم، فليستعن باللّـه تعالى على تثبيته فى صدره بهذا الدعاء الوارد فى هذا الحديث:

عن ابن عباس رضى اللّـه عنهما، قال: بينما نحن عند رسول اللّـه ﷺ، إذ جاءه على بن أبى طالب رضى اللّـه عنه، فقال: بأبى أنت (١)، تفلت هذا القرآن من صدرى (٢) فما أجدنى أقدر عليه، فقال له رسول اللّـه ﷺ: «يا أبا الحسن (٣).. **أفلا أعلمك كلمات ينفعك اللّـه بهن، وينفع بهن من علمته، ويثبت ما تعلمتَ فى صدرك**»؟ قال: أجل يا رسول اللّـه .. فعلمنى قال: «**إذا كان ليلة الجمعة، فإن أستطعتَ أن تقوم فى ثلث الليل الآخر، فإنها ساعة مشهودة (٤)، والدعاء فيها مُستجاب (٥)، فقد قال أخى يعقوب لبنيه: سوف أستغفر لكم ربى (٦)، يقول حتى تأتى ليلة الجمعة، فإن لم تستطع (٧).. فقم فى وسطها، فإن لم تستطع .. فقم فى أولها (٨)، فصل أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى: بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفى الركعة الثانية: بفاتحة الكتاب، وحم الدخان، وفى**

---

(١) تقديره: أفديك، وهى جملة دعائية.

(٢) أى انطلق منه وذهب كما يتفلت البعير من عقاله.

(٣) وهى كنية على رضى اللّـه عنه، ولم يكن النبى من عادته أن يكنيه بذلك ولكن بأبى تراب.

(٤) أى يشهدها اللّـه والملائكة.

(٥) لأنها وقت التنزل الالهى حيث يبسط سبحانه يده لعباده بالعطاء وإجابة الدعاء.

(٦) يقال أنه أمهلهم إلى وقت السحر لكى يكون الدعاء أرجى.

(٧) يعنى القيام فى الثلث الآخر.

(٨) أى فى أول الليل.

الركعة الثالثة: بفاتحة الكتاب، وألم تنزيل السجدة، وفى الركعة الرابعة: بفاتحة الكتاب، وتبارك المفصل [1]، فإذا فرغتَ من التشهد، فاحمد اللّه، وأحسن الثناء على اللّه، وصلِّ علَىَّ وأحسِن، وعلى سائر النبيين، واستغفره للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل فى آخر ذلك: اللّهم ارحمنى بترك المعاصى أبداً ما أبقيَتنى [2] وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى [3] وارزقنى حُسن النظر فيما يرضيك عنى.

اللّهم بديع السموات والأرض [4] ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام [5]..

أسألك يا اللّه يا رحمن بجلالك، ونور وجهك.. أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يُرضيك عنى، اللّهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والاكرام، والعزة التى لا تُرام.. أسألك يا اللّه يا رحمن بجلالك، ونور وجهك ان تنور بكتابك بصرى، وأن تطلق به لسانى، وأن تفرج به عن قلبى، وأن تشرح به صدرى، وأن تستعمل به بدنى [6]، فإنه لا يُعيننى على الحق غيرك، ولا يؤتينيه إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم.

---

(١) يعنى «تبارك الذى بيده الملك».

(٢) أى مدة ابقائك اياى.

(٣) وفى الصحيح: «من حسن السلام المرء تركه مالا يعنيه».

(٤) أى مبدعها وموجدها على غير مثال سبق.

(٥) أى لا تنال ولا تدرك ولا يلحقها ضيم ولاذل.

(٦) أى تستعمل بدنى فيما يأمر به القرآن من أنواع القربات والطاعات.

يا أبا الحسن.. تفعل ذلك ثلاث جمع، أو خمساً، أو سبعاً، تُجاب بإذن اللّـه، والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمناً قط».

قال ابن عباس رضى اللّـه عنهما: فواللّـه ما لبث عَـلـىٌّ إلا خمساً ـ أو سبعاً ـ حتى جاء رسول اللّـه ﷺ فى مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول اللّـه .. إنى كنت فيما خلا [1] لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسى تَـفَـلَّـتْـنَ، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتهن على نفسى فكأنما كتاب اللّـه بين عَـيـنَـى، ولقد كنت أسمع الحديث، فإذا رددته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً. فقال رسول اللّـه ﷺ ـ عند ذلك ـ: **«مؤمن ورب الكعبة، يا أبا الحسن»..**

(رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم)

ورواه الحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، إلا أنه قال: يقرأ فى الثانية بالفاتحة، وألم السجدة، وفى الثالثة: بالفاتحة والدخان، عكس ما فى الترمذى، وقال فى الدعاء: وأن تشغل به بدنى مكان: وأن تستعمل، وهو كذلك فى بعض نسخ الترمذى، ومعناهما واحد، وفى بعضها: وأن تغسل [2].

* * *

** هذا ولا يفوتنى فى نهاية هذا العنصر الثانى من أركان الميراث المحمدى: إلا أن أذكرك وأذكر نفسى ببعض:

---

(١) يعنى فيما مضى.

(٢) قال المعلىّ رضى اللّـه عنه: طريق أسانيد هذا الحديث جيدة، ومتنه غريب جداً، والله أعلم.

الآداب والأحكام الفقهية المتعلقة

بتلاوة القرآن

والتى منها، أنه:

يستحب الوضوء لقراءة القرآن.. وقد كان النبى ﷺ يكره أن يذكر اللّـه إلا على طُهر، وأما الجنب والحائض فتحرم عليهما القراءة وإن كان يجوز لهما النظر فى المصحف.

* وتسن القراءة فى مكان نظيف وأفضله المسجد، وأفضل المساجد، المساجد الثلاثة التى أخبر الرسول ﷺ بفضل الصلاة فيها على غيرها:

فقد روى البخارى ومسلم، عن ابن عمر رضى اللّـه عنهما عن النبى ﷺ، قال: «**صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»، والأفضلية بالترتيب:

(أ) المسجد الحرام بمكة.

(ب) مسجد الرسول ﷺ بالمدينة.

(جـ) المسجد الأقصى بالقدس.

ويلى هذا الفضل ـ بعد هذا الترتيب ـ مساجد اللّـه جميعها كما يشير قول اللّـه تعالى:

﴿ فى بيوتٍ أذنَ اللّـه أن تُرفع ويُذكر فيها اسمهُ يسبحُ له فيها بالغدوّ والآصالِ * رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ اللّـه وإقامِ الصلاةِ..﴾[2]

---

(١) صحيح البخارى بكتاب الصلاة فى مسجد مكة والمدينة، وصحيح مسلم كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة.

(٢) النور : ٣٦، ٣٧.

ويلحق بالمساجد، مكان صلاة الشخص فى أى مكان صلى فيه إذا أراد أنْ يقرأ بعد الصلاة القرآن.

* ويحرم القراءة فى أماكن قضاء الحاجة كالمراحيض والخرائب التى يتخذها الناس مباول، وكذا ما خصص لإلقاء القاذورات وخلافها.

* ويحرم القراءة فى أماكن اللهو والفجور كبيوت الدعارة وحانات الخمر.

* ويستحب أن يجلس القارئ مستقبلاً القبلة، متخشعاً بسكينة ووقار، مطرقاً رأسه.

* ويسن التعوذ قبل القراءة.

* ويسن المحافظة على قراءة البسملة أول كل سورة غير سورة براءة (١)، كما يستحب ذلك إذا قرأ من أثناء السورة.

* ويسن الترتيل فى قراءة القرآن.. وقد كانت قراءة الرسول ﷺ مُفسرةً.. حرفاً حرفاً، قال تعالى: ﴿.. **ورتل القرآن ترتيلا**﴾ (٢).

وتسن القراءة بالتدبر والتفهم.. فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تُشرح الصدور، وتَستنير القلوب.. قال تعالى: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾ (٣).

ويستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكى لمن لا يقدر على البكاء مع الحزن والخشوع.

قال تعالى: ﴿ **ويخرونَ للأذقانِ يبكونَ ويزيدهمْ خشوعا**﴾ (٤).

---

(١) وهى سورة التوبة.
(٢) المزمل : ٤.
(٣) محمد : ٢٤.
(٤) الإسراء : ١٠٩.

* ويسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها.. ففى الحديث: **«زينوا القرآن بأصواتكم»**[1].

* ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة.

* ويسن السجود عند قراءة آية السجدة، وهى أربع عشرة فى السور الآتية:

١ ـ سورة الأعراف: آخر آية منها.

٢ ـ سورة الرعد: الآية: ١٥.

٣ ـ سورة النحل: الآية: ٤٩.

٤ ـ سورة الاسراء: الآية ١٠٧ , ١٠٨ , ١٠٩، والسجود بعد الآية ١٠٩.

٥ ـ سورة مريم: الآية ٥٨.

٦,٧ ـ سورة الحج، سجدتان فى الآية ١٨,٧٧.

٨ ـ سورة الفرقان: الآية ٦٠.

٩ ـ سورة النمل: الآية ٢٥ , ٢٦، والسجود بعد الآية ٢٦.

١٠ ـ سورة السجدة: الآية ١٥.

١١ ـ فصلت : الآية ٣٧.

١٢ ـ سورة النجم: آخر آية منها.

١٣ ـ سورة الإنشقاق: الآية ٢١.

١٤ ـ سورة العلق: آخر آية منها.

---

(١) رواه أبو داود، والنسائى، وابن ماجه وهو حديث حسن أو صحيح.

* ويلحق بسجدات التلاوة: سجدة الشكر، وهى سجدة واحدة فى القرآن الكريم كله من سورة «ص»[1]، وهى قوله تعالى: **﴿وظنَّ داودُ أنما فتناهُ فأستغفر ربهُ وخر راكعاً وأناب﴾**. وزاد بعضهم آخر سورة الحجر.

ودليل مشروعية.. سجدة التلاوة، من القرآن الكريم، قوله تعالى:

* **﴿إنما يؤمنُ بآياتنا الذينَ إذا ذُكروا بها خَرُّوا سُجَّداً وسَبَّحُوا بحمد ربهمْ وهم لا يستكبرون﴾**[2].

هذا فى شأن المؤمنين.. أما شأن الكافرين:

* **﴿وإذَا قرىءَ عليهمُ القرآنُ لا يسجدونُ﴾**[3].

ومن السنة...، ما ورد فى صحيح مسلم:

* عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يقرأ القرآن فيقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته.

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى! يقول: يا ويلتا..! أُمِـرَ ابنُ آدمَ بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمِرتُ بالسجود فأبيتُ فلى النار»**

(أخرجه مسلم)

وفى رواية الترمذى: عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، قال:

ـ جاء رجل فقال يا رسول الله.. رأيتنى اليوم وأنا نائم كأنى أُصلى خلف

---

(١) سورة ص : ٢٤

(٢) السجدة: ١٥

(٣) الانشقاق: ٢١

شجرة فسجدتُ فسجدت[1] الشجرة لسجودى فسمعتُها تقول: اللّهم اكتب لى بها أجراً وحط عنى بها وزراً واجعلها لى عندك ذخراً وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود.

قال ابن عباس: فسمعت رسول اللّه ﷺ قرأ فيها مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة.

* * *

* واعلم أن القراءة فى المصحف أفضل من قراءته حفظاً.. لأن النظر فيه عبادة مطلوبة.

* * *

** ويكره الآتى، وهو:

* قطع القراءة لمكالمة أحد.. لأن كلام اللّه تعالى لا ينبغى أن يُؤثر عليه كلام غيره.

* ويكره الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهى.

* ويكره التنكيس فى القراءة، كأن يقرأ مثلاً سورة ﴿**ألم نشرح**﴾ قبل سورة ﴿**والضحى**﴾.. وقد سئل ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه عن رجل يفعل ذلك، فقال: ذلك منكوس القلب.

ويكره الخلط بين سورة وسورة لأن ذلك ليس من آداب التلاوة، والأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف.

ـ ولا تجوز القراءة بالشاذ.. نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك.. وهى

(١) فسجدت فسجدت: الأولى بضم التاء والثانية بكسرها.

القراءة التى لم يثبتها قراء الأمصار.. مثل ابن كثير قارىء مكة، ونافع قارىء المدينة.. ولذلك قالوا: إنها ليست قرآناً ولا تصح بها الصلاة.

ومثال هذه القراءة الشاذة: **﴿فاليومَ نُنَحيك ببدنكَ لتكونَ لمنْ خلفكَ آيةً﴾**(١) بالحاء بدلاً من الجيم.. كما قال ابن الجزرى.

** والأوقات المختارة للقراءة، أفضلها:

* ما كان فى الصلاة، ثم الليل، ثم نصفه الأخير.. وهى بين المغرب والعشاء محبوبة، وأفضل أوقات النهار بعد صلاة الصبح.

* والمختار من الأيام: يوم عرفة، ثم يوم الجمعة، ثم يوم الاثنين والخميس.

* ومن الأعشار: العشرة الأخيرة من رمضان، والأول من ذى الحجة.

* ومن الشهور: رمضان.

* * *

** والأفضل أن تبدأ قراءته يوم الجمعة وتختمه ليلة الخميس، فقد روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يفعل ذلك.

والأفضل كذلك: ختمه أول النهار فى ركعتى الفجر، وأول الليل فى ركعتى سنة المغرب.

* ويسن صوم يوم الختم.. وأخرج الطبرانى عن أنس أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا

* * *

فليذكر الأخ المسلم كل هذا، وليكن منفذاً له، حتى يكون من أهل هذا الميراث العظيم، وحتى يكون من المنتفعين بهذا القرآن الكريم، وحسبه فى

(١) يونس: ٩٢ بلفظ: «ننجيك..»

النهاية، أن يتأمل معى قول الهراوى رحمه الله، تحت عنوان «نحن نبغى القرآن»:

إن هذا القرآن يهدى إلى الرشد ... ويدعو لصالح الإنسان
نحن نبغى القرآن علماً وفهماً ... يخلقان الكمال فى الشبان
نحن نبغى القرآن لفظاً ومعنى ... فهو صقل الحجا[1] وصقل اللسان
نحن نبغى القرآن ديناً ودنيا ... يتجلى فى هديه الحسنيان
نحن نبغى القرآن فى معهد الدر ... س وفى كل منزل ومكان

* * *

هذا بالإضافة إلى أنه ثروة بلاغية، أشار إليها أحد الشعراء فى قوله:

الذكر آية ربك الكبرى التى ... فيها لباغى المعجزات غناء
صدر البيان له إذا التقت اللغى ... وتقدم البلغاء والفصحاء
نسخت به التوراة وهى وضيئة ... وتخلف الانجيل وهو ذكاء
لما تمشى فى الحجاز حكيمه ... قضت عكاظ به وقام حراء

* * *

نسأل الله تعالى: أن يهدينا جميعا بهداه.

** هذا، وإذا كان لى أن أضيف شيئاً هاماً، بعد أن وقفنا على كل هذا الخير المتعلق بالقرآن وأهم أحكامه. فإننى أرى أذكّر هنا كذلك بأهم الآداب التى ينبغى على دارس القرآن فى مجالسه.. أن يلاحظها وينفذها.. كما جاء فى إحياء علوم الدين للإمام الغزالى.. وكما لخص هذا صاحب كتاب (كيف نتأدب مع المصحف)[2]، حيث يقول تحت عنوان:

---

(١) أى العقل.

(٢) وهو أخونا الشيخ محمد رجب فرجانى ـ أكرمه الله.

آداب المتعلم في مجلس الدرس

الصفة الأولى: تقديم طهارة النفس من رزائل الأخلاق ومذموم الأوصاف والعادات.. ومعنى هذا أنْ تعلَمَ أنَّ القرآن عبادته القلب، وصلاة السر، وقربة الباطن إلى الله تعالى.. وكمالا تصبح الصلاة إلا بالطهارة الظاهرة للبدن والملابس والمكان، فكذلك لا تصح العبادة الباطنة ـ عبادة القلب ـ إلا بطهارته من النفاق والمكر، والخبث، والحقد والحسد، والعداوة والبغضاء.. وهى نجاسات قلبية ونفسية وباطنية.. والقرآن الكريم كالزرع لا ينبت إلا فى التربة الخصبة الصالحة.. أما الأرض السبخة المريضة فلا ينبت فيها زرع، وإن نبت بعض الشيء لا ينمو، وإن نما لا يثمر، وإن أثمر لا يأتى بجيد الثمر.. فالقرآن لا ينبت ولا ينمو ولا يثمر إلا فى القلب الطيب الصالح الطاهر...

الصفة الثانية: أن لا تكون الدنيا ومطالبها أكبر همه، وكل شغله.. فيتخَّففُ من علائقها.. وذلك لأنه جنّد نفسه وعقله لطلب علم القرآن.. ومادام كذلك وجب أن يُكرسِ جهده، ويجمع همته على التحقيق والإجادة حتى يحصل له حفظه، بل ويتعدّى مرحلة الحفظ إلى العمل به، كما علمنا ذلك سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، فلقد قال: (كنا نحفظ العشر آيات فلا ننتقل إلى ما بعدها حتى نعمل بهن).. وروى أنه حفظ سورة البقرة فى تسع سنين. وذلك لا للانشغال عن الحفظ أو رداءة الفهم.. ولكن بسبب التدقيق والتطبيق.. (وقد) سأل الإمام الشافعى شيخه (وكيعا): بم حصَلْتَ على العلم..؟ فقال: (بطول السهر، وافتراش المدر[1]، والإستناد على الحجر) ثم أنشد قائلاً:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى ... فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأخبرنى بأن العلم نور ... ونور الله لا يُهدى لعاصى

الصفة الثالثة: أن لا يتكبر على العلم ولا على المعلِّم.. لأن العلم وخاصة

---

(١) المدر: أى التراب.

القرآن يضيع بين (الكبر والخزى والكسل): فيجب أن يكون متواضعاً، لأن الكبر دافع إلى الأنفة من الناس، ومَن أنف منهم بعد عنهم، ومَن بعد عنهم انقطع به سبيل المعرفة، والخزى يمنعه من التساؤل.. فالعلم خزائن ومفاتيحها السؤال، والكسل يدعو إلى تأجيل الإستذكار، ويكسر ملكة الفهم ويحل عزيمة الطالب، ويجب عليه الإحترام لمعلمه كما فعل الصحابة الأجلاء فيما يرويه الشعبى.. فلقد قال: (صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابها.. فقال زيد: خَلِّ عنك يا ابن عم رسول الله.. فقال ابن عباس: هكذا أُمرنا أن نفعل بالعلماء والكُبراء.. فقبل زيد يد ابن عباس وقال: هكذا أُمرنا أن نفعلَ بأهل بيت نبينا ﷺ)، وهنا يقول الإمام الغزالى: (فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على العلم.. ومن التكبر على المعلم أن يستنكف عن الإستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة، لأن العلم سبب النجاة والسعادة) ثم يضرب المثل فيقول: (إن مَن يطلب النجاة من سبع ضار مفترس لا يفرق بين أن يرشده إلى الهرب من وجه السبع مشهور أو خامل) ثم يعلق قائلاً: (وضراوة سباع النار بالجهال بكتاب الله أشد ضراوة من كل سبع).

الصفة الرابعة: أن يقصد بتعلمه للقرآن تحلية باطنه، ونقاوة نفسه، وطهارة سريرته، وأن يقصد به القرب إلى الله، والترقى إلى جوار الملأ الأعلى، والإنضمام إلى صفوف الملائكة، كما أخبرتنا السيدة عائشة رضى الله عنها.. قالت: قال رسول الله ﷺ : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة). وفى حديث آخر أن الملائكة كانت تنزل لتسمع إلى أسيد بن حضير عند قراءته القرآن، وقد رآها مثل الظلة إلا أنه لم يعرفها. فذهب إلى رسول الله ﷺ ليصف له ما رأى.. وإليكم نص الرواية كما هى فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى: أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ فى مربده[1] إذ جالت فرسه.. فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضاً، وقال أسيد: فخشيت أن تطأ (يحيى)[2].. فقمت إليها فإذا مثل

---

(١) أى المكان الذى يجفّف فيه التمر.

(٢) يحيى هو ابن أسيد بن حضير.

الظلة فوق رأسي فيها أمثال السُّرج عَرجت في الجو حتى ما آراها.. قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مِربدي إذ جالت فرسي.. فقال رسول الله ﷺ: (أقرأ ابن حضير) قال: فقرأت. ثم جالت أيضاً.. فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ ابن حضير)، قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ ابن حضير)، قال: فانصرفتُ، وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُّرج[1] عَرَجَتْ في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: (تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم)[2]...

الصفة الخامسة: أن لا يبخل بالإنفاق على تعلم القرآن، وليعلم أن كل قرش ينفقه من ماله ما هو إلا قرض حسن يقدمه لله... وقد ضرب سلفنا الصالح المثل الأعلى في بذل المال والتضحية به في سبيل طلب العلم.. وتعلم القرآن هو منتهى العلوم، وملتقى المقاصد والحكم... ثم يقول: والمثل الأعلى في التضحية بالمال هو ما فعلته السيدة (أم ربيعة الرأي) شيخ الإمام مالك رضي الله عنهم، فإن هذه السيدة أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار، وإليك قصتها: (كان فروخ وهو والد الطفل (ربيعة) خرج في البعوث[3] إلى خراسان أيام بني أمية، وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسه وفي يده رُمح.. فنزل يدفع الباب برمحه، فخرج ربيعة وقال: يا عدو الله أتهجم على منزلي..؟ فقال فروخ: وأنت يا عدو الله دخلت على حرمي.. فَتَوَاثَبَا حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بن أنس.. فأتوا يُعينون ربيعة.. وكثر الضجيج.. وكل منهما يقول: لا فارقتك.. فلما بصروا بمالك سكتوا.. فقال مالك: أيها الشيخ ألك سعة في غير هذه الدار؟ فقال

---

(١) السرج: المصابيح المنيرة.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة لقراءة القرآن.

(٣) البعوث: أي الغزو.

الشيخ: هي دارى وأنا فروخ.. فسمعت أم ربيعة كلامه ـ وكانت فى الداخل لا تعلم بما يحدث ـ فخرجت وقالت: هذا زوجى وهذا ابنى الذى خلفه وأنا حامل به.. فتعانقا وبكيا ودخل فروخ المنزل وقال: هذا ابنى..!!؟ فقالت: نعم فقال: أخرجى المال الذى عندك، قالت: دفنته وأنا أخرجه.. ثم خرج ربيعة إلى المسجد، وجلس فى حلقته العلمية، فأتاه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، وقالت: أمه لزوجها: اخرج فَصَلِّ فى مسجد رسول الله ﷺ: فخرج فنظر إلى حلقة وافرة بالعلم والناس، فأتاها فوقف عليها، فنكس ربيعة رأسه ليُوهم أباه أنه لم يَره، وعليه قلنسوة طويلة، فَشَكَّ أبوه فيه، فقال مَن هذا الرجل؟ فقيل له: هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن.. فقال: لقد رفع الله ابنى.. ورجع إلى منزله وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها.. فقالت المرأة: فأيهما أحبُّ إليك: ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذى هو فيه؟ فقال: لا والله.. بل هذا.. فقالت: لقد أنفقت المال كله عليه.. قال: فوالله ما ضَيَّعته)(١).

ولما ختم حماد بن أبى حنيفة سورة الفاتحة، أعطى أبوه للمعلم خمسمائة درهم.. فقال المعلم: ما صنعت حتى أرسل إلىَّ هذا؟ فأحضره أبوه واعتذر إليه، وقال: لا تستحقر ما علمت ولدى، والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيماً للقرآن.

وفى هذا اجتمعت عفة المعَلِّم مع سخاء أبىَ حنيفة.

الصفة السادسة: التحلى بالأدب فى مجلس التعليم، مع المعلم، وأيضاً مع أضرابه، وأما مع العلم فلا يتبجَّح، ولا يأتى بأعمال يأنف منها أستاذه كالكلام والإنصراف بدون إذن منه، وكذا الدخول عليه بدون تسليم، وأن يجلس أمامه

(١) هذه القصة من كتاب (من أخلاق العلماء) لفضيلة الشيخ محمد سليمان عن ابن خلكان.

بسكينة ووقار، وأن لا يرفع صوته على صوت أستاذه فى كلام خارج عن الدرس... أما رفع الصوت فى مسألة علمية، فمطلوب ليكتسب الجرأة فى القراءة، وليتمكن من إظهار الحروف أمام شيخه.. وأما مع الزملاء فيحترم كل واحد منهم، فلا يعبث بأدواتهم ومصاحفهم ولا يهوش عليهم برفع الصوت، ولا يعطلهم عن أداء واجباتهم، وإذا طلب أحدهم العون أعانه، وأن يوثق العلاقة الحسنة بهم حتى خارج الدرس... فيعود المريض، ويسأل عن الغائب، ويعين المحتاج بقدر استطاعته ويشاركهم الأحزان والأفراح.. بقى بعد ذلك وهو الأهم.. احترامه للقرآن.. فلا يعبث بأدواته، ولا يقحم نفسه فيما يدنّسها.. (وأما) آدابه وصفاته مع الناس عامة.. فهى أن يتحلّى بالصدق ليتنزه عن الكذب، ويحترم مجلس الكبار، فإن جَلَسَ فبأدب، وإذا تكلم فبعد استئذان، وإذا دخل أو انصرف سلّم.. أما ما يفعله الآباء والأمهات من عزل للأبناء عن مجالس الكبار فضرره أكثر من نفعه ـ إن كان فيه نفع ـ وما يقال: إذا تكلم الكبار سكت الصغار.. فهذا خطأ وأى خطأ.. ولكن الأفضل: إذا تكلم الصغار صمت الكبار، وأصغوا إليه بآذان واعية، وقلوب متفتحة، وعقول يقظة، ليُصَحِّحُوا لهم كلامهم، وليرشدوهم إلى الكلام المفيد، وليشجعوهم على صوابهم، وينبهوهم على خطئهم.. وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً.. وهو أنه كان جالساً مع أصحابه فقال فى رواية عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثونى ما هى؟**» فوقع الناس فى شجر البوادى ـ قال عبد الله بن عمر : ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت ـ ثم قالوا : حدثنا ما هى يا رسول الله ﷺ..؟ قال : (هى النخلة)[1].

ففى هذا الحديث رأينا رسول الله ﷺ يشترك فى مجلسه الصبى الصغير عبد الله بن عمر ومعه كبار الصحابة، وعبد الله ضرب المثل فى الأدب والحياء فلم يتكلم فى المجلس.. وبعد أن انفض المجلس، وذهب عبد الله مع أبيه حدثه بما

---

(١) صحيح مسلم كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب مثل المؤمن مثل النخلة ٣٧/٨).

كان في نفسه من معرفته لجواب سؤال رسول الله ﷺ.. ولكن حياءه منعه.. فقال أبوه: لو كنت قلتها لكان أحب إلى من أن يكون لى كذا وكذا من حمر النعم.. وهنا يشجع عمر رضى الله عنه ابنه على إبداء الرأى، بل ويعتز برأيه... ولذلك فضل رأى ابنه عن ملكيته لعدد من الإبل. وينبغى للمتعلم أن يتعود من صغره على فعل الطاعات وذلك بأداء العبادات، وفعل الخيرات، ليشب مؤمناً بما يتواءم مع القرآن الكريم.. وقدوته فى هذا هو رسول الله الذى أجاب سائلاً قال له: من أدبك يا رسول الله؟.. فقال ﷺ : (إن الله أدبنى فأحسن أدبى ثم أمـرنى بمكارم الأخلاق فقال: (**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**)[1]..

** فكن أخا الإسلام منتفعاً بكل تلك الآداب الهامة حتى تكون إن شاء الله تعالى من أهل القرآن الكريم الذى سيكون إن شاء الله تعالى سبباً فى رفع شأنك فى الدنيا والآخرة.. فقد قرأت فى أثر ما نصه: (**حامل القرآن حامل لواء الإسلام، فلا ينبغى أن يكون حامل القرآن محتاجاً للناس، بل ينبغى أن تكون حوائج الناس كلها إليه**).

اسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لهذا الفضل العظيم...

اللهم آمين

ـ وأما عن الركن الثالث والأخير من التراث المحمدى، وهو:

تذاكر الحلال والحرام في المسجد

فهذا أمر طبيعى لابد وأن يلاحظه الأخ المسلم، لأن المسجد هو المدرسة

(١) خرج الحديث الإمام المناوى فى فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ١. ص٢٣٥، قال: ابن السمعان الإمام أبو سعد فى كتاب (أدب الإملاء) من جهة صفوان بن مغلس الخيطى عن محمد بن عبد الله عن شعبان الثورى عن الأعمش عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ... الحديث.. والآية من سورة الأعراف:١٩٩.

المحمدية التى يجب على كل مسلم أن ينتسب إليها حتى يعرف أحكام دينه، وحتى يعلم من خلال ذلك كل ما يتعلق بالحلال والحرام فى الإسلام:

ولولا العلم ما سعدت نفوس ولا عُرِف الحلال من الحرام

وقد أشار النبى ﷺ إلى رسالة المسجد، فقال مرغباً فى السعى إليه للعلم، فقد ورد:

*** عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : قال رسول الله : (من نفّس[1] عن مؤمن كُربة[2] من كُرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً[3] ستره الله فى الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر[4] يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس[5] فيه علما سهل له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه[6] بينهم إلا حفتهم[7] الملائكة، ونزلت عليهم السكينة[8] وغشيتهم[9] الرحمة، وذكرهم الله فى من عنده[10]، ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه).**

---

(١) أى فرج وكشف .

(٢) أى شدة وضيقا.

(٣) أى كساء ثوبا يستر عورته، أو المراد ستر عيوبه ولم يفضحه ونصحه فيما بينه وبينه.

(٤) بأن انظره أو حط عنه.

(٥) أى يطلب.

(٦) أى يتفهمون معانيه ويتدبرون مقاصده ومراميه.

(٧) أى أحاطت بهم وقعدت حولهم.

(٨) أى الأمن والطمأنينة.

(٩) أى غطتهم وغمرتهم.

(١٠) يعنى فى الملأ الأعلى، كما قال تعالى فى الحديث القدسى: «من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته خير من ملأ خير منهم».

(رواه مسلم وأبو داود، والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما)

وعن أبى الدراء رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكه لتضع أجنحتها[1] لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وأن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهما[2] إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

(رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى).

وعن صفوان بن عسالٍ المرادى رضى الله عنه: قال: **أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد متكىء على بُرد[3] له أحمر فقلت له: يا رسول الله.. انى جئت اطلب العلم. فقال: «مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه[4] الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»**

(رواه أحمد والطبرانى باسناد جيد واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وروى ابن ماجه نحوه باختصار).

وعن أبى أمامه عن النبى ﷺ قال: **«من غدا إلى المسجد لا يُريد إلا أن**

---

(١) أى تخفضها تواضعا ومحبة.

(٢) وإلى هذا أشار النبى ﷺ فى قوله: «نحن معاشر الأنبياء لانورث، ما تركناه فهو صدقة».

(٣) البرد: ثوب مخطط وهو أيضا كساء من الصوف الأسود يلتحف به.

(٤) أى تحيط به وتمشى حوله.

يتعلم خيراً أو يعلمه[1] كان له كأجر «حاج» تامًا حجته»[2]

(رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد لا بأس به)

وعن أبى هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه، أو يُعلمه فهو بمنزلة المجاهدين فى سبيل الله، ومن جاء بغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره[3]**»

(رواه ابن ماجه والبيهقى)

* هذا بالإضافة إلى أن طلب العلم فى المسجد سيكون مصدر خير كبير لطالب العلم: لأنه سيكون فى ضيافة ملك الملوك سبحانه وتعالى الذى يقول فى الحديث القدسى: «**إن بيوتى فى الأرض المساجد وزوارى فيها عمارها فطوبى لمن تطهر فى بيته وزارنى فى بيتى، وحق على المزور أن يُكرم زائره**» ولاسيما إذا كان طالب العلم هذا من المحافظين على حرمة المسجد، ومن الذين يحضرون فى المساجد بقلوبهم قبل أجسادهم:

إنه حينئذ سيكون من طلاب العلم بالمعنى الصحيح.

وحسب طالب العلم هذا، أن يدرس فى المسجد، وبين يدى أستاذ عامل هذا الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم:

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن**

---

(١) يعنى غدا إلى المسجد بإحدى هاتين النيتين.

(٤) أى مقبولة مبرورة ولا حرج على فضل الله.

(٣) أى لاحظ له من هذا الخير إلا النظر كما ينظر الفقير المحروم إلى ما عند الأغنياء من عرض ومتاع.

كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ[1] لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى[2] يوشك[3] أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمىً، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت: صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب».

فهذا الحديث:[4] تبنى عليه أحكام الإسلام كلها، فقد قسم الرسول ﷺ فى هذا الحديث الأحكام إلى حلال بين، بينته الشريعة فى نصوصها، وإلى حرام بين بينته الشريعة كذلك فى نصوصها، وإلى أمور أخرى اشتبه على كثير من الناس حكم الله فيها، وهى من المتشابهات التى ينبغى على المسلم الورع اتقاؤها، صيانة لدينه وعرضه، وجعل النبى ﷺ مدار صحة الأديان والأبدان على صلاح القلب، وسلامته من الآفات.

وقد قال النووى فى شرح مسلم: أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث، وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام[5] اهـ.

إن الدارس لهذا الحديث، سيعرف أن:

* الحلال ـ عند جمهور الفقهاء ـ: هو المباح الذى لم يرد دليل من الشرع يحرمه.

* والحرام، كذلك ـ عند جمهور الفقهاء ـ: هو المحظور الذى ورد دليل من الشرع يحرمه.

---

(١) أى طلب البراءة لدينه وعرضه من الخطأ والعار.

(٢) الحمى: ما حماه الملك لنفسه من أرض لا يسمح لأحد أن يدخلها إلا بإذنه.

(٣) يوشك: أى يقرب أن يدخله ويرعى فيه إبله أو ماشيته.

(٤) كما يقول الشيخ محمد بكر اسماعيل فى الفقه الواضح ج١ ص٢١.

(٥) ج١١ ص٧.

وسيعرف كذلك أنه يندرج تحت هذين التعريفين أربع حقائق[1]:

الحقيقة الأولى: أن الأصل في الأشياء الإباحة[2]. فكل شيء لم ينص الشارع على تحريمه. فهو حلال لا نسئل عنه.

قال رسول الله ﷺ : **«إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً، فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها»**

(رواه الدارقطنى وغيره بسند حسن، وصححه ابن الصلاح)

وقال النبراوى فى شرح هذا الحديث:

«هذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، الموجزة البليغة. بل قيل: ليس فى الأحاديث حديث أجمع لأصول الدين وفروعه منه، لأنه قسم أحكام الله تعالى إلى أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها».

الحقيقة الثانية: أن الحلال ما أحله الله ورسوله، لا ما أحله الإنسان بعقله وهواه. وأن الحرام ما حرمه الله ورسوله لا ما حرمه الإنسان بعقله وهواه.

* وعلى هذا.. فلا يجوز لأحد كائناً من كان، أن يقول فى دين الله ما لم يقله الله و رسوله وأن يفتى فى دينه بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير، فإن القول على الله ـ بغير علم ـ افتراء عظيم، وجرم كبير.

ولقد شدد الله النكير على كل من تسول له نفسه الأمارة بالسوء أن يتجرأ

(١) كما يقول أيضا فى الفقه الواضح.

(٢) هذا مذهب أكثر العلماء، ويرى بعضهم العكس.

على الفتيا بغير علم، طمعاً فى دنيا يصيبها، أو جاه يحصل عليه، أو منصب يعتليه، أو ليقال: إنه عالم، أو خوفاً من أن يقال: إنه جاهل.

فقال تعالى فى سورة الأعراف: **﴿قل إنما حرمَ ربى الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ والإثمَ والبغىَ بغيرِ الحقِ وأن تُشركوا باللهِ ما لم يُنزلْ بهِ سلطاناً وأن تقولوا على اللهِ ما لا تعلمونَ﴾**[1].

وقال تعالى فى سورة يونس: **﴿قل أرأيتم ما أنزلَ اللهُ لكم من رزقٍ فجعلتم منهُ حراماً وحلالاً قل آللّهُ أذِنَ لكم أم على اللهِ تفترون * وما ظنُّ الذين يفترون على الله الكذبَ يوم القيامةِ إن الله لذو فضلٍ على الناسِ ولكن أكثرهمْ لا يشكرونَ﴾**[2].

وقال تعالى فى سورة النحل **﴿ولا تقولوا لما تصفُ ألسنتكمُ الكذبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكذبَ إن الذين يفترونَ على الله الكذبَ لا يُفلحونَ - متاعٌ قليلٌ ولهم عذابٌ أليمٌ﴾**[3].

وقال رسول الله : **«من كذب علىَّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»**.

(رواه مسلم وغيره)

* ولهذا.. فقد كان أصحاب رسول الله يتحرجون من الإفتاء فى دين الله أشد الحرج، إلى الحد الذى كان أحدهم إذا سأله سائل عن مسألة فى دين الله، اهتز واضطرب، وأحاله إلى غيره، فقال: اذهب إلى فلان فإنه أعلم منى.

(١) الأعراف: ٣٣

(٢) يونس: ٥٩ ـ ٦٠

(٣) النحل: ١١٦ـ ١١٧

وهكذا كان يصنع التابعون عليهم جميعاً رضوان الله: فقد رُوىَ أن كل فقيه من الفقهاء المشهورين كان يقول بعد تقرير حكم الله فى المسألة: هذا ما وصل إليه علمى، فإن وجدتم في كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ ما يُخالف قولى، فخذوا به، واضربوا بقولى عرض الحائط.

وقيل إن الإمام مالكاً رضى الله عنه سُئل عن مائة مسألة فأجاب عن أربعة منها، وقال فى الباقيات: الله أعلم فعوتب فى ذلك، فقال: من قال: الله أعلم، فقد أفتى.

وقرأتُ أن على بن أبى طالب رضى الله عنه وقف ذات يوم يخطب على المنبر، فسأله أحدهم عن مسألة من المسائل فقال: الله أعلم، فقال له السائل متعجباً: هذا مكان من يعلم ولا يجهل! فأجاب عليه رضوان الله بقوله: هذا مكان من يعلم ويجهل، أما من يعلم ولا يجهل فليس له مكان[1].

* ولهذا.. فقد كان عليه رضوان الله يقول: احفظوا عنى خمساً، لو شددتم إليها المطايا لم تظفروا بمثلها، ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحى أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، ألا وإن الخامسة الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له، لا إيمان له.

الحقيقة الثالثة: إن الله تبارك وتعالى ما أحل لعباده إلا الطيبات، وما حرم عليهم إلا الخبائث:

قال تعالى فى سورة البقرة: **﴿يا أيها الذينَ آمنوا كلوا من طيباتِ ما رزقناكمْ واشكروا للهِ إن كنتم إياهُ تعبدون﴾**[2].

(١) وهو الله سبحانه وتعالى لأنه سبحانه ليس له مكان محدد، «وهو معكم أينما كنتم» (الحديد:٤)، ولأننا لو حددنا له مكاناً لكان حادثاً...

(٢) البقرة: ١٧٢

وقال تعالى في سورة المائدة. ﴿**يسألونكَ ماذا أحلّ لهمْ قلْ أحلّ لكمُ الطيباتُ**﴾[1].

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿**الذينَ يتبعونَ الرسولَ النبى الأُمّىّ الذى يجدونهُ مكتوباً عندهمْ فى التوراةِ والإنجيلِ يأمرهم بالمعروفِ وينهاهمْ عن المنكرِ ويُحل لهمُ الطيباتِ ويُحرمُ عليهمُ الخبائثَ..**﴾[2].

الحقيقة الرابعة: أنه لا يجوز للعبد أن يحرم على نفسه شيئاً أباحه الله له من غير ضرورة، فإن ذلك يعد اعتداء على دينه، وتعدياً على حدوده.

قال جل وعلا في سورة المائدة: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تُحرموا طيباتِ ما أحلّ الله لكمْ ولا تعتدوا إن الله لا يحبُّ المعتدينَ • وكلوا مما رزقكمُ الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون**﴾[3].

وقد يسأل الأخ القارىء بعد تلك الحقيقة الرابعة السؤال الآتى: ولماذا حرم الرسول ﷺ على نفسه ما أحل الله له؟ كما يشير قول الله تعالى فى أول سورة التحريم: ﴿**يا أيها النبىُّ لِمَ تحرمُ ما أحلّ الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفورٌ رحيمٌ**﴾[4].

فأجيبه إن شاء الله تعالى بما ذكره القرطبى ـ بتصرف فى المسألة الأولى التى ذكرها حول تفسير تلك الآية، فيقول: ثبت فى صحيح مسلم، عن عائشة رضى

---

(١) المائدة: ٤

(٢) الأعراف: ١٥٧

(٣) المائدة: ٨٧ ـ ٨٨

(٤) التحريم: ١

الله عنها، أن النبى ﷺ، كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً، قالت: فتواطأت أنا وحفصة[1] أن أيتنا ما دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل ـ له ـ: إنى أجد منك ريح مغافير! أكلت مغافير[2]؟ فدخل الرسول ـ ﷺ ـ على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له». فنزل قول الله تعالى: ﴿**لِمَ تحرمُ ما أحلَّ الله لك**﴾ إلى قوله: ﴿**إن تتوبا**﴾[3] لعائشة وحفصة.

وعنها أيضا رضى الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يُحب الحلواء والعسل، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقيل لى: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت رسول الله ﷺ منه شربه... فقلت: أما والله لنحتالَنّ له، فذكرت ذلك لسودة وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولى له: يا رسول الله.. أكلت مغافير؟ فإنه سيقول لا.. فقولى له: ما هذه الريح؟ ـ وكان الرسول ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح ـ فإنه سيقول لك: سقتنى حفصة شربة عسل، فقولى له: جرست نحله العرفط[4]. فلما دخل على حفصة قالت: يا رسول الله ألا أسقيك منه. قال: «**لا حاجة لى به**». قالت: تقول لسودة: سبحان اللهّ! والله لقد حرمناه[5]. قالت: قلت لها اسكتى... الخ تلك الرواية.

وروى الدارقطنى، عن ابن عباس عن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ بأم ولده مارية فى بيت حفصة، فوجدته حفصة معها ـ وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها ـ فقالت له: ما صنعت بى هذا من بين نسائك إلا من هوانى عليك.

---

(١) وهى زوج الرسول ﷺ وابنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنها.
(٢) المغافير: بقلة أو صمغة متغيرة الرائحة، فيها حلاوة.
(٣) التحريم: ٤
(٤) العرفط: نبت له ريح كريح الخمر.
(٥) أى منعناه شربة عسل.

فقال لها: «لا تذكرى هذا لعائشة فهى على حرام إن قربتها»

قالت حفصة: وكيف تحرم عليك وهى جاريتك؟ فحلف لها ألا يقربها. فقال النبى : «لا تذكريه لأحد» فذكرته لعائشة، فآلى[1] لا يدخل على نسائه شهراً، فاعتز لهن تسعاً وعشرين ليلة، فأنزل الله عز وجل: ﴿لِمَ تُحرم ما أحل الله لك﴾[2] الآية، إلى قوله تعالى: ﴿عسى ربهُ إن طلقكنَّ أن يبدلهُ أزواجاً خيراً منكنَّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكاراً﴾[3]. [4]

فمن هذا يتبين لنا أو يتأكد لنا ما أشارت إليه الحقيقة الرابعة، وهو أنه ليس لأى إنسان ـ كائناً من كان ـ حتى ولو كان النبى محمد ﷺ أن يحرم على نفسه ما أحل الله له.. وذلك لأن الله تعالى هو الذى يحل ويحرم.

هـذا بالإضافة إلى أن الأخ المسلم سيعرف من خلال دراسته لهذا الحديث، وهو: «أن الحلال بين والحرام بين..»: أن الله تعالي، قد حرم علينا:

١ ـ الميتة، وهى: ما مات حتف أنفه من الحيوان والطير، أى: ما مات بدون عمل من الإنسان يقصد به تذكيته أو صيده.

٢ ـ والدم المسفوح، وهو الدم السائل، والسر فى تحريمه هو أنه مُستقذر يعافه الطبع الإنسانى النظيف، كما أنه مظنة للضرر كالميتة.

---

(١) أى حلف

(٢) التحريم: ١

(٣) التحريم: ٥

(٤) ارجع إلى تفسير تلك الآيات بتوسع فى القرطبى وابن كثير

٣ ـ ولحم الخنزير، لأن أشهى غذائه القاذورات والنجاسات... كما ثبت بالتجارب العلمية أن أكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القاتلة.. ومن الباحثين من يقول: إن المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغيرة على الحرمات.

٤ ـ وما أُهِلَّ لغير الله به، أى ما ذبح وذكر عليه اسم غير الله كالأصنام.

٥ ـ والمنخنقة، وهى التى تموت اختناقاً، بأن يلتف وثاقها على عنقها أو تدخل رأسها فى مضيق أو نحو ذلك.

٦ ـ والموقوذة، وهى التى تضرب بالعصا ونحوها حتى تموت.

٧ ـ والمتردية، وهى التى تتردى من مكان عال فتموت، ومثلها التى تتردى فى البئر.

٨ ـ والنطيحة، وهى التى تنطحها أخرى فتموت.

٩ ـ وما أكل السبع، وهو الحيوان المفترس، أى أكل جزءاً منها فماتت.

١٠ ـ وما ذبح على النُّصُب: والنصب هو الشيء المنصوب من أصنام أو حجارة تقام أمارة للطاغوت وهو ما عبد من دون الله ـ وكانت حول الكعبة ـ وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها أو عندها بقصد التقرب إلى آلهتهم وأوثانهم.

قال تعالى فى سورة المائدة: **﴿حُرِمتْ عليكمُ الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزيرِ وما أهلَّ لغيرِ الله به والمنخنقةُ والموقوذةُ والمترديةُ والنطيحةُ وما أكلَ السبعُ إلا ما ذكيتمْ وما ذبحَ على النصبِ﴾**[1].

وإذا كان الله تعالى فى تلك الآية كما قرأنا قد قال: **﴿ إلا ما ذكيتم﴾**، فالمراد: إلا ما أدركتم من هذه الحيوانات وفيه حياة فذكيتموه، أى: أحللتموه بالذبح ونحوه.. ويكفى فى صحة إدراك ما ذُكِر أن يكون فيه رمق من الحياة:

---

(١) المائدة: ٣

فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه، أنه قال: إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة، وهى تحرك يداً أو رجلاً فكلها.

وقد حرم الله تعالى ما أكل السبع على الإنسان تكريماً له، وتنزيهاً له أن يأكل فضلات السباع.

وأما السمك والجراد، فقد استثنتهما الشريعة الإسلامية من الميتة المحرمة:

قال تعالى: **﴿أحلَّ لكمْ صيدُ البحرِ وطعامهُ﴾**[1].

قال عمر: صيده، ما اصطيد منه، وطعامه: ما رمى به. وقال ابن عباس: طعامه ميتته.

وقد سئل النبى ﷺ عن ماء البحر، فقال «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»

(رواه أحمد وأصحاب السنن)

وأما عن الجراد، فقد رخص رسول الله ﷺ فى أكله ميتاً، لأن ذكاته غير ممكنة، قال ابن أبى أوفى رضى الله عنه: «**غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات كنا نأكل معه الجراد**»

(رواه الجماعة إلا ابن ماجه)

وأما عن جلد الميته أو قرونها أو شعرها: فقد أباح الشارع الإنتفاع به، لأنه مال يمكن الإستفادة منه فلا تجوز إضاعته:

فعن ابن عباس قال: تُصُدِّقَ على مولاة[2] لميمونة ـ أم المؤمنين ـ بشاة فماتت، فمر بها رسول الله ﷺ، فقال: «**هلا أخذتم إهابها**[3] **فدبغتموه**

(١) المائدة: ٩٦.

(٢) أى جارية كانت لها وأعتقتها.

(٣) أى جلدها.

فانتفعتم به» ؟ فقالوا: إنها ميتة! فقال ﷺ : «إنما حرم أكلها»

(رواه الجماعة إلا ابن ماجه)

وقد بين النبى ﷺ السبيل إلى تطهير جلد الميته، فقال : «**دباغ الأديم**[1] **ذكاته**» . أى أن الدباغ فى التطهير بمنزلة الذكاة فى احلال الشاة ونحوها. وفى رواية: «**دباغه يذهب بخبثه**»[2]. وفى صحيح مسلم وغيره عنه : «**إذا دبغ الإهاب فقد طهر**» . قال فى كتاب «**الحلال والحرام فى الإسلام**»[3]: وهو عام يشمل كل جلد ولو كان جلد كلب أو خنزير، وبذلك قال أهل الظاهر، وحكى عن أبى يوسف صاحب أبى حنيفة، ورجحه الشوكانى.

ثم يقول بعد ذلك تحت عنوان «**حالة الضرورة مستثناة**» :

كل هذه المحرمات المذكورة إنما هى فى حالة الاختيار.

أما الضرورة فلها حكمها، قال تعالى: ﴿**وقدْ فصلَ لكم ما حرمَ عليكمْ إلا ما اضطررتمْ إليهِ**﴾[4].

وقال تعالى بعد أن ذكر تحريم الميتة والدم وما بعدها: ﴿**فمنِ اضطرَ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفورٌ رحيمٌ**﴾[5].

ثم يوضح بعد ذلك هذا فيقول: «والضرورة المتفق عليها هى ضرورة الغذاء، بأن يعضه الجوع ـ وقد حدده بعض الفقهاء بأن يمر عليه يوم وليلة ـ ولا يجد

---

(١) أى الجلد

(٢) رواه الحاكم

(٣) للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى (أكرمه الله)

(٤) الأنعام: ١١٩

(٥) البقرة ١٧٣

ما يأكله إلا هذه الأطعمة المحرمة، فله أن يتناول منها ما يدفع به الضرورة ويتقى الهلاك».

وقال الإمام مالك: حد ذلك الشبع والتزود منها حتى يجد غيرها.

وقال غيره: لا يأكل منها إلا ما يُمسك الرمق.. ولعل هذا هو الظاهر من قوله تعالى : **﴿غير باغ ولا عاد﴾** أى غير باغ (طالب) للشهوة، ولا عاد، أى غير (متجاوز) حد الضرورة وضرورة الجوع قد نص عليها القرآن الكريم نصاً صريحاً، بقوله : **﴿فمنِ اضطرَّ فى مخمصةٍ[1] غيرَ متجانفٍ لإثمٍ فإن الله غفورٌ رحيمٌ﴾**[2].

وأما ضرورة الدواء ـ بأن يتوقف برؤه على تناول شىء من هذه المحرمات ـ فقد اختلف فى اعتبارها الفقهاء.. فمنهم من لم يعتبر التداوى ضرورة قاهرة كالغذاء، واستند كذلك إلى حديث: «**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرم عليكم**»[3].

ومنهم من اعتبر هذه الضرورة وجعل الدواء كالغذاء، فكلاهما لازم للحياة فى أصلها أو دوامها، وقد استدل هذا الفريق على إباحة هذه المحرمات للتداوى ـ بأن النبى ﷺ رخص فى لبس الحرير لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام، رضى الله عنهما، لحكة ـ جرب ـ كانت بهما. مع نهيه عن لبس الحرير، ووعيده عليه.

ثم يقول : وربما كان هذا القول أقرب إلى روح الإسلام الذى يحافظ على الحياة الإنسانية فى كل تشريعاته ووصاياه.

---

(١) المخمصة: أى المجاعة

(٢) المائدة: ٣

(٣) رواه البخارى عن ابن مسعود.

ولكن الرخصة فى تناول الدواء المشتمل على محرم مشروطة بشروط:

١ ــ أن يكون هناك خطر حقيقى على صحة الإنسان إذا لم يتناول هذا الدواء.

٢ ــ ألا يوجد دواء غيره من الحلال يقوم مقامه أو يغنى عنه.

٣ ــ أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة فى خبرته وفى دينه معاً.

.. إلخ تلك الشروط والأحكام التى يستطيع الأخ المسلم الرجوع إليها فى الكتب المطولة[١].

هذا.. مع ملاحظة:

١ ــ أن الحيوانات البحرية، وهى التى تسكن جوف الماء، ولا تعيش إلا فيه: كلها حلال كيفما وُجدت، سواء أخذت من الماء حية أو ميتة، طفت أو لم تطف، يستوى فى ذلك السمك، والحيتان، وما يُسمى كلب البحر أو خنزير البحر أو غير ذلك فقد وسع الله على عباده بإباحة كل ما فى البحر، فقال تعالى: **﴿وهوَ الذى سخرَ البحرَ لتأكلوا منهُ لحماً طرياً﴾**[٢].

وقال: **﴿أحِلَّ لكمْ صيدُ البحرِ وطعامهُ متاعاً لكمْ وللسيارةِ﴾**[٣].[٤]

٢ ــ وأن الحيوانات البرية: لم يصرح القرآن الكريم بتحريم شىء منها إلا لحم الخنزير خاصة، والميتة والدم وما أهل لغير الله به من أى حيوان ــ كما تقدم ــ

(١) وفى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) للدكتور يوسف القرضاوى أكرمه الله

(٢) النحل: ١٤

(٣) أى المسافرين

(٤) المائدة: ٩٦

ولكن القرآن الكريم قال عن الرسول محمد ﷺ: **﴿ويُحل لهمُ الطيباتِ ويحرمُ عليهمُ الخبائثَ﴾**[1]، والخبائث هى التى يستقذرها الذوق الحسى العام للناس فى مجموعهم وإن أساغها أفراد منهم.. ومن ذلك أنه «نهى عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر»[2]، ومن ذلك ما روى فى الصحيحين، أنه «نهى عن أكل لحم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير».. والمراد بالسباع ما يفترس الحيوان ويأكله قسراً كالأسد والنمر والذئب ونحوها.. والمراد بذى المخلب من الطير ما كان له ظفر جارح كالنسر والبازى والصقر والحدأة. ثم يقول بعد ذلك فى «**الحلال والحرام فى الإسلام**» و«ما أبيح أكله من الحيوانات البرية نوعان: نوع مقدور عليه متمكن منه، كالأنعام من إبل وبقر وغنم وغيرها من الحيوانات المستأنسةِ والدواجن والطيور التى تربى فى المنازل ونحوها.

ونوع غير مقدور عليه ولا يتمكن منه.

أما النوع الأول فقد اشترط الإسلام لإباحته أن يُذكى تذكية شرعية.

والذكاة الشرعية المطلوبة[3] لا تتم إلا بشروط وهى:

١ ـ أن يذبح الحيوان أو ينحر بآلة حادة مما ينهر الدم ويفرى الأوداج ولو كان حجراً أو خشباً.

٢ ـ أن يكون فى الحلقة أو اللبة (النحر) وذلك بقطع فى الحلق يكون الموت فى أثره، أو طعن فى اللبة يكون الموت فى أثره.

٣ ـ أن لا يذكر عليه اسم غير الله.

---

(١) الأعراف: ١٥٧

(٢) رواه البخارى

(٣) كما يقول أيضا فى الحلال والحرام فى الإسلام بتصرف.

٤ ـ أن يذكر اسم الله على الذبيحة.

وذهب بعض العلماء إلى أن ذكر اسم الله لابد منه، ولكن ليس من اللازم أن يكون ذلك عند الذبح، بل يجزىء عنه أن يذكره عند الأكل.

وفى صحيح البخارى، عن عائشة رضى الله عنها: أن قوماً حديثى عهد بجاهلية قالوا للنبى ﷺ إن قوماً يأتوننا باللحمان لا ندرى أذكروا اسم الله عليها أم لم يذكروا؟ أنأكل منها.. أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ : «**أذكروا اسم الله وكلوا**».

كما يشير أيضاً إلى قاعدة هامة، وهى أنه: ليس للمسلم أن يسأل عما غاب عنه: كيف كانت تذكيته؟ وهل استوفت شروطها أم لا؟.. وهل ذكر اسم الله على الذبيحة أم لم يذكر؟.. بل كل ما غاب عنا مما ذكاه مسلم ـ ولو جاهلاً أو فاسقاً ـ أو كتابى[1] فحلال أكله.

* * *

* وأما عن: (**الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ**) فقد أكد الله تحريم كل هذا فى آيتين من سورة المائدة، قال فيهما:

﴿يا أيها الذينَ آمنوا إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عملِ الشيطانِ فاجتنبوهُ لعلكمْ تفلحونَ • إنما يريدُ الشيطانُ أن يوقعَ بينكمُ العداوةَ والبغضاءَ فى الخمرِ والميسرِ ويصدكمْ عن ذكرِ الله وعنِ الصلاةِ فهلْ أنتم منتهون﴾[2]

---

(١) أى من أهل الكتاب

(٢) المائدة: ٩٠ ، ٩١

ففى هاتين الآيتين أكد الله تعالى تحريم الخمر والميسر ـ القمار ـ تأكيداً بليغاً، إذ قرنهما بالأنصاب والأزلام، وجعلهما رجساً.. وجعلهما من عمل الشيطان.. وطلب اجتنابهما وجعل هذا الإجتناب سبيلاً إلى الفلاح. وذكر من أضرارهما الإجتماعية، تقطيع الصلات وإيقاع العداوة والبغضاء.. كما ذكر من أهم أضرارها الروحية الصد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة. ثم يطلب الله تعالى الإنتهاء عنهما بأبلغ عبارة فيقول: ﴿فهلْ أنتم منتهون﴾.

هذا مع ملاحظة: أن كل مسكر خمر، وعلى هذا.. فإن البيرة وما شابهها حرام.

ففى الحديث: **«كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»**[1]. وكذلك: **«ما أسكر كثيره فقليله حرام»**[2].

وفى كتاب «الحلال والحرام فى الإسلام» يقول:

ولم يكتف النبى ﷺ بتحريم شرب الخمر قليلها وكثيرها، بل حرم الإتجار بها، ولو مع غير المسلمين، فلا يحل لمسلم أن يعمل مستورداً أو مصدراً للخمر، أو صاحب محل لبيع الخمر، أو عاملاً فى هذا المحل الذى يبيع الخمر.

ومن أجل ذلك: **«لعن النبى ﷺ فى الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها[3]، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشترى لها، والمشتراه له»**[4].

وكما حرم بيع الخمر وأكل ثمنها.. كذلك يحرم على المسلم اهداءها ولو

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى

(٣) أى طالب عصرها.

(٤) رواه الترمذى وابن ماجة ورواته ثقات

إلى غير مسلم.. فما ينبغى أن تكون الخمر هدية منه، ولا هدية إليه، فهو طيب لا يهدى إلا طيباً، ولا يقبل إلا طيباً:

فقد روى أن رجلاً أراد أن يهدى للنبى ﷺ ، راوية خمر، فأخبره النبى ﷺ أن الله حرمها، فقال الرجل: أفلا أبيعها؟ قال النبى ﷺ: **«إن الذى حرم شربها حرم بيعها»** قال الرجل: أفلا أكارم بها اليهود؟ فقال النبى ﷺ: **«إن الذى حرمها حرم أن يكارم بها اليهود»** فقال الرجل: فكيف أصنع بها؟. فقال النبى ﷺ: **«شُنَّهَا[1] على البطحاء»**[2].

وكذلك حرم الإسلام التداوى بالخمر:

فقد روى أن رجلاً سأل النبى عن الخمر.. فلما أخبره أنها حرام. قال الرجل: إنما أصنعها للدواء، فقال النبى : **«إنه ليس بدواء ولكنه داء»**[3].

وقال ﷺ: **«إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام»**[4].

وقال ابن مسعود رضى الله عنه فى شأن المسكر: **«إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حَرَّمَ عليكم»**[5].

وكذلك : فإن كل ما يضر، فأكله أو شربه حرام، مثل: الحشيش، و«الكوكايين، والأفيون.. بل والدخان.. لأن كل هذا مضر بالصحة ومتلف للمال:

---

(١) أى أرقها على الأرض

(٢) رواه الحميدى فى مسنده

(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى

(٤) رواه أبو داود

(٥) رواه البخارى تعليقا

قال تعالى: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكمْ إن الله كان بكمْ رحيما**﴾[2].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**لا ضرر ولا ضرار**»[3]

وقد «نهى النبى صلى الله عن **إضاعة المال**»[4]

* * *

وكذلك حرم الإسلام:

الذهب والحرير الخالص على الرجال

فعن على كرم الله وجهه قال:

أخذ النبى ﷺ حريراً فجعله فى يمينه، وأخذ ذهباً فجعله فى شماله، ثم قال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتى**»[5].

وعن عمر رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**لا تلبسوا الحرير، فإن من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة**»[6].

وقال ﷺ فى حلة من الحرير: «**إن هذه لباس من لاخلاق له**»[7].

---

(١) البقرة: ١٩٥ .

(٢) النساء ٢٩ .

(٣) رواه أحمد وابن ماجة.

(٤) رواه البخارى.

(٥) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان وابن ماجة وزاد ابن ماجة «حل لإناثهم».

(٦) رواه الشيخان.

(٧) رواه الشيخان.

ورأى النبى ﷺ خاتماً من ذهب فى يد رجل، فنزعه وطرحه، وقال: **«يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده»**. فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله.. لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ[1].

ومثل الخاتم ما نراه عند المترفين من قلم الذهب، وساعة الذهب، وقداحة (ولاعة) الذهب، وعلبة الذهب للسجائر، والفم الذهب... إلخ.

أما التختم بالفضة فقد أباحه عليه الصلاة والسلام للرجال:

روى البخارى عن ابن عمر، قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من وَرِق (فضة) وكان فى يده، ثم كان بعد فى يد أبى بكر، ثم كان بعد فى يد عمر، ثم كان بعد فى يد عثمان، حتى وقع بعد فى بئر أريس[2].

قال فى كتاب **«الحلال والحرام فى الإسلام»**:

أما المعادن الأخرى كالحديد وغيره، فلم يرد نص صحيح يُحرمها، بل ورد فى صحيح البخارى أن الرسول ﷺ قال للرجل الذى أراد تزوج المرأة الواهبة نفسها: **«التمس ولو خاتماً من حديد»** وبه استدل البخارى على خاتم الحديد.

* وقد رخص النبى ﷺ فى لبس الحرير إذا كان لحاجة صِحّـية:

فقد أذن عليه الصلاة والسلام بلبسه لعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام رضى الله عنهما، لحكة كانت بهما[3].

* كما حرم الإسلام أوانى الذهب والفضة. ومفارش الحرير الخالص فى البيت المسلم، لأنه سرف وخيلاء وكسر لقلوب الفقراء:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخارى فى كتاب اللباس.

(٣) رواه البخارى.

روى مسلم فى صحيحه عن أم سلمة رضى الله عنها: «**إن الذى يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة إنما يُجرجر فى بطنه نار جهنم**»[1].

وروى البخارى عن حذيفة، قال: «**نهانا رسول الله أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه، وقال: هولهم (أى: للكفار) فى الدنيا ولنا فى الآخرة**»[2].

* وحرم الإسلام فى البيت الإسلامى أن يشتمل على التماثيل ـ أى الصور المجسمة غير الممتهنة ـ وجعل وجود هذه التماثيل فى بيت المسلم سبباً فى أن تفر عنهم الملائكة، وهم مظهر رحمة الله، ورضاه تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير**»[3].

وحرم الإسلام على المسلم أن يشتغل بصناعة التماثيل وإن كان يعملها لغير المسلمين.

قال عليه الصلاة والسلام: «**إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور**» وفى رواية «**الذين يُضاهون بخلق الله**»[4].

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن: «**من صور صورة كُلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً**»[5].

وأما ما عدا ذلك من الصور واللوحات.. فإن كانت لغير ذى روح كصور النبات والشجر والبحار والسفن والجبال والشمس والقمر والكواكب ونحوها من

---

(١) رواه مسلم: والجرجرة: صوت وقع الماء فى الجوف.

(٢) رواه البخارى.

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البخارى وغيره.

المناظر الطبيعية ـ لنبات أو جماد ـ فلا جُناح على من صورها أو اقتناها.. بلا جدال.

قال فى كتاب «**الحلال والحرام فى الإسلام**»:

وأما الصور الشمسية (الفوتوغرافية) فالأصل فيها الإباحة، إذا لم يشتمل موضوع الصورة على محرم كتقديس صاحبها تقديساً دينياً، أو تعظيمه تعظيماً دنيوياً.. وقد ذكر فتوى[1] للشيخ محمد بخيت مفتى مصر رحمه الله ـ جاء فيها: أن أخذ الصورة بالفوتوغرافيا ـ الذى هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة ـ ليس من التصوير المنهى عنه فى شيء، لأن التصوير المنهى عنه هو إيجاد صورة وصنع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل، يضاهى بها حيواناً خلقه الله تعالى، وليس هذا المعنى موجوداً فى أخذ الصورة بتلك الآلة.

* * *

وقد حرم الإسلام:

الــــزنا

قال تعالى: **﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾**[2].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك**» قلت: إن ذلك لعظيم. قلت: ثم أى؟ قل: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يُطعم معك**» قلت: ثم أى؟ قال: «**أن تزانى حليلة جارك**»

(أخرجه الشيخان وغيرهما)

(١) من كتاب (الجواب الشافى فى إباحة التصوير الفوتوغرافى).

(٢) الإسراء: ٣٢.

* وحرم الإسلام الخلوة بالأجنبية عن الرجل وهى التى لا تكون زوجه له ولا إحدى قريباته التى يحرم عليه زواجها حرمة مؤبدة، كالأم والأخت والعمة والخالة:

فعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم**»

(رواه البخارى ومسلم)

وعن عامر بن ربيعة، أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلُوَن بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان**»

(رواه أحمد)

وفى تفسير قوله تعالى فى شأن نساء النبى ﷺ: **﴿وإذا سألتموهنَّ متاعاً فاسألوهنَّ من وراءِ حجابٍ ذلكمْ أطهرُ لقلوبكمْ وقلوبهنَّ﴾**[1] يقول الإمام القرطبى: «يريد: من الخواطر التى تعرض للرجال فى أمر النساء، وللنساء فى أمر الرجال، أى أن ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى فى الحماية، وهذا يدل على أنه لا ينبغى لأحد أن يثق بنفسه فى الخلوة مع من لا تحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله، وأحصن لنفسه وأتم لعصمته»[2] ويقول فى كتاب: «**الحلال والحرام فى الإسلام**»:

ويحذر الرسول ﷺ هنا تحذيراً خاصاً من خلوة المرأة بأحمائها (**أقارب زوجها**) كأخيه وابن عمه، لما يحدث عادة من تساهل فى ذلك بين الأقارب،

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) تفسير القرطبى ج١٤ ص ٢٢٨.

قد يجر أحياناً إلى عواقب وخيمة، لأن الخلوة بالقريب أشد خطراً من غيره، والفتنة به أمتن، لتمكنه من الدخول إلى المرأة من غير نكير عليه، بخلاف الأجنبي.

ومثل ذلك أقارب الزوجة من غير محارمها كابن عمها، وابن خالها وابن خالتها، فلا يجوز لأحد منهم الخلوة بها.

قال عليه الصلاة والسلام: «**إياكم والدخول على النساء**».

فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله.. أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»[1].

قل النووى: المراد فى الحديث: أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت.. وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابن العم وابن الأخت ونحوهم مما يحل لها تزوجه لو لم تكن متزوجة ذهب المازرى إلى أن المراد بالحمو فى الحديث: أبو الزوج، وذكره للتنبيه على منع غيره بطريقة الأولى[2].

* * *

* وقد حرم الإسلام النظر إلى العورات:

فقد نهى النبى ﷺ عن النظر إلى العورات، ولو كان من رجل إلى رجل، أو من امرأة إلى امرأة بشهوة أم بغير شهوة، قال: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد، ولا المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد**».

وعورة الرجل[3] التى لا يجوز النظر إليها من رجل أو امرأة تحدد فيما بين

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) انظر فتح البارى ج١١ ص ٣٤٤.

(٣) كما يقول فى كتاب الحلال والحرام فى الإسلام ص ١٦٣.

السرة والركبة، كما ورد فى الحديث ويرى بعض الأئمة كابن حزم وبعض المالكية أن الفخذ ليس بعورة.

وعورة المرأة بالنسبة للرجل الأجنبى عنها هى جميع بدنها ماعدا وجهها وكفيها، أما عورتها بالنسبة لمن كان ذا محرم منها كأبيها وأخيها فإنه يجوز لهما ولغيرهما من المحارم النظر إلى مواضع الزينة الباطنة، من مثل الأذن والعنق والشعر والصدر والذراعين والساقين، فإن إبداء هذه الزينة لهؤلاء مباح.

وما عدا ذلك من مثل الظهر والبطن والسوأتين والفخذين فلا يجوز إبداؤه لامرأة أو لرجل إلا للزوج.

* * *

وقـد:

أحل الله البيع وحرم الربا

فقال تعالى: **﴿وأحلَّ اللّه البيعَ وحرمَ الربا﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿يا أيها الذينَ آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطلِ، إلا أن تكونَ تجارةً عن تَراضٍ منكمْ﴾**[2].

كما أثنى سبحانه وتعالى على الضاربين فى الأرض للتجارة، فقال: **﴿وآخرونَ يضربونَ فى الأرضِ يبتغونَ من فضلِ اللّه﴾**[3].

قال فى «**الحلال والحرام فى الإسلام**»: ولكن الإسلام سد الطريق على

---

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) المزمل: ٢٠.

كل من يحاول استثمار ماله فى طريق الربا، فحرم قليله وكثيره، وشنع على اليهود إذ أخذوا الربا وقد نهوا عنه. وكان من أواخر ما نزل من القرآن قوله تعالى فى سورة البقرة:

﴿يا أيها الذينَ آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقىَ من الربا إن كنتم مؤمنينَ • فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسولهِ وإن تبتمْ فلكمْ رؤوسُ أموالكمْ لا تظلمونَ ولا تظلمونَ﴾[1].

وأعلن الرسول ﷺ حربه على الربا والمرابين، وبين خطره على المجتمع، فقال: «**إذا ظهر الربا والزنا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[2].

وأما عن البيع لأجل مع زيادة الثمن:

كما يفعله معظم التجار الذين يبيعون بالتقسيط: فمن الفقهاء من حرم هذا النوع من البيع مستنداً إلى أنه زيادة فى المال فى مقابل الزمن فأشبه الربا.

وأجازه جمهور العلماء، لأن الأصل فيه الإباحة، ولم يرد نص بتحريم، وليس مشابهاً للربا من جميع الوجوه، وللبائع أن يزيد فى الثمن لاعتبارات يراها، لم تصل إلى حد الاستغلال الفاحش والظلم البين، وإلا صارت حراماً.

قال الشوكانى: «قالت الشافعية والحنفية، وزيد بن على والمؤيد بالله والجمهور: يجوز لعموم الأدلة القاضية بجوازه، وهو الظاهر»[3].

قال فى «**الحلال والحرام فى الإسلام**»: وعلى عكس هذا يجوز للمسلم أن

---

(١) البقرة: ٢٧٨ ، ٢٧٩.

(٢) رواه الحاكم، وروى نحوه أبو يعلى بإسناد جيد

(٣) نيل الأوطار ج ٥ ص ١٥٣ قال الشوكانى: وقد جمعنا رسالة فى هذه المسألة سميناها (شفاء العلل فى زيادة الثمن لمجرد الأجل) وقد حققناها تحقيقا لم نسبق إليه.

يدفع مقداراً معلوماً من المال حالاً ليتسلم فى مقابله صفقة بعد أجل معين. وهو المعروف فى الفقه الإسلامى بعقد (السَّلم).

وهذا نوع من المعاملات كان سائداً فى المدينة، ولكن النبى ﷺ أدخل عليه تعديلات وشروطاً، ليتفق وما تتطلبه الشريعة فى المعاملات.

قال ابن عباس: قدم النبى ﷺ المدينة فوجدهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين أى يسلفون مالاً فى الحال ليحصلوا على الثمار بعد سنة أو سنتين - فقال النبى ﷺ: **«من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم»**(1).

بهذا التحديد فى الكيل أو الوزن والأجل يرتفع النزاع والغرر.

ومن هذا القبيل أنهم كانوا يسلفون فى ثمار نخيل بأعيانها، فنهاهم عن ذلك لما فيه من الغرر، إذ قد تصاب تلك النخيل بعاهة فلا تثمر شيئاً.

والصورة السليمة لهذه المعاملة ألا يشترط ثمر نخلة بعينها ولا قمح أرض بعينها وهكذا بل يشترط الكيل أو الوزن فقط.

فإذا كان هناك استغلال بين لصاحب النخل أو الأرض بأن اضطرته الحاجة أن يقبل العقد فحينئذ يتجه القول بالتحريم.

* * *

* فتلك أخا الإسلام.. بعض النماذج أو بعض الأمثلة أو الأحكام الفقهية المتعلقة بالحلال والحرام.. التى تستطيع أن تدرسها بالإضافة إلى غيرها من الأحكام بصورة موسعة ومفصلة إذا ما واظبت على حضور مجالس العلم النافع فى المسجد الذى هو المدرسة الحقيقية لطلب العلم النافع، ومدارسة الحلال والحرام.

---

(1) رواه الجماعة.

هذا.. ولا يفوتني بعد أن عرفنا بعض الأحكام المتعلقة بالحلال والحرام المشار إليه في حديث: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين..**» الذى وقفت على نصه، والذى رأيت من الخير أن أجعله أساساً لتلك الملاحظات الفقهية:

لا يفوتنى بعد كل هذا: أن أذكرك وأذكر نفسى بالمعنى المراد من قول الرسول ﷺ ـ فى نص الحديث المشار إليه ـ: «**وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس..**» أى بين الحلال والحرام أمور مشتبهة بالحلال والحرام، ولا يدرى كثير من الناس أمِن الحلال هى أم من الحرام؟ فمن تركها استبراءً لدينه وعرضه فقد سلِم، ومن واقع شيئاً منها يوشك أن يواقع الحرام كما أن من يرعى حول الحمى ـ وهو مكان محدد فى حدود السلطان لترعى فيه أنعامه وحدها ويحجر على غيرها أن تنال منه شيئا ـ أوشك أن يواقعه.

قال النووى[1] : واعلم أن كل محرم له حمى يحيط به، فالفرج محرم وحماه الفخذان جعلا حريماً للمحرم، وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم، فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرم، فالمحرم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يندرج إلى المحرم.

* * *

ثم فى النهاية.. إليك أخا الإسلام.. درجات الورعين، كما ذكرها الإمام الغزالى فى الجزء الثانى من كتاب «**إحياء علوم الدين**»[1]، وهى أربعة فإليك بيانها.

الدرجة الأولى : درجة العدول، وهم الذين يتركون المحرمات كلها، ويقتصرون على المباحات.

---

(١) فى شرح الأربعين النووية.

(٢) وكما لخصها صاحب كتاب (الفقه الواضح) ج١ ص٢٧.

الدرجة الثانية : درجة الصالحين، وهم الذين يتركون المتشابهات خوفاً من الوقوع فى المحرمات.

الدرجة الثالثة : درجة المتقين، وهم الذين يتركون الجائزات، خوفاً من أن تؤدى إلى ارتكاب شيء من المحرمات:

قال رسول اللّه ﷺ: **«لا يبلغ العبد درجة المتقين، حتى يدع ما لا بأس به، مخافة ما به بأس»**

(رواه ابن ماجه)

وروى أن أبا بكر رضى الله عنه، قال: **«كنا نترك سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع فى باب واحد من الحرام»**.

والمعنى: كنا ولازلنا، مثل قوله: **﴿وكان اللّه غفوراً رحيما﴾**[1].

الدرجة الرابعة : درجة الصديقين المقربين، وهم الذين يكتفون من دنياهم بما يسد الرمق، ويستر العورة، ويجعلون الآخرة مبلغ همهم، ومنتهى بغيتهم: الميراث المحمدى الذى هو أعظم ميراث، وأنفع ميراث على وجه الأرض.

وحسبك أخا الإسلام.. أنك ستكون بهذا الميراث من أغنى الأغنياء وأسعد السعداء الذين يقولون: «نحن فى لذة لو يعلمها الملوك لحاربونا عليها بالسيوف» .

ولأنها لذة الطاعة، ولذة المعرفة التى على أساسها يستطيع العبد الصادق أن يكون فى أعلى درجات الكمال:

لأنه سيكون قد عرف اللّه تعالى حق المعرفة، وقديماً قالوا:

مــن عــرف الله فلــم تُغنــه   معــرفة اللــه فــذاك الشــقى

---

(١) النساء: ٩٦، وسور أخرى.

والمعرفة هذه لن تكون إلا على أساس من العلم النافع والفقه الصادق، وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم وابن ماجه، يقول النبى: «**من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين**».

ولهذا.. فقد قال معاذ بن جبل رضى الله عنه[1] «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد[2]، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس فى الوحشة[3]، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الاخلاء. يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة أئمة تقتص آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة فى خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البحر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام[4]، به توصل الأرحام[5]. وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء».

وهذا هو السر، أو هو السبب فى أن أبا هريرة رضى الله عنه، قال للتجار كما علمنا، يوم أن مر بسوق المدينة: «يا أهل السوق.. ما أعجزكم[6]!. قالوا: وما ذاك

---

(١) وورد أنه حديث شريف .

(٢) لأنه بذل الجهد فى عمل من أعمال الخير.

(٣) أى فى الخلوة والانفراد.

(٤) أى مذكراته ومحاولة الفهم فيه وتدبر مسائله.

(٥) جمع رحم وهى القرابة.

(٦) أى: أى شيء أعجزكم وقعد بكم عن إدراك هذا الخير.

يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله، يُقسم وأنتم ههنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه، قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: مالكم[1] ؟ فقالوا: يا أبا هريرة.. قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى.. رأينا قوماً يُصلون، وقوماً يقرأون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم.. فذاك ميراث محمد ﷺ»[2].

فلنكن إن شاء الله تعالى من أهل هذا الميراث المحمدى حتى نفوز فوزاً عظيماً:

ففي الصحيح، قال رسول الله ﷺ : «**إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر**».

حقق الله لنا جميعا هذا الحظ الوافر ونفعنا به، وجعله ميراثاً لنا ولأبنائنا وأحفادنا.. إلى يوم الدين.. آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

طه عبد الله العفيفى

القاهرة ـ المعادى
الأربعاء ٣ شعبان ١٤٠٢هـ.
٢٦ مايو ١٩٨٢م.

---

(١) يعنى لماذا رجعتم سراعا كما ذهبتم ولم تأخذوا حظكم من الميراث.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن.

ختاماً أخا الإسلام:

فقد رأيت بعد أن وقفت معك على (ميراث رسول الله ﷺ): أن أُزَوِّدَكَ ونفسي بموعظة من أعظم المواعظ الدينية التي قرأتُها عن عُمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه.. وذلك حتى تكون سبباً كبيراً في عَدم انشغَالنَا عن: (ميـراث رسول الله ﷺ) الذى ينبغي علينا نحن المؤمنين بصفة خاصة أَنْ لا نُـشغَل عنه بأى شاغلٍ دنيوىٍّ حتى لا نَضِـلَّ أو نَزِلَّ:

* فقد قرأت[1] أن عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، شيّع جَنازةً، فلما انصرفوا تأخّر عُمرُ وأصحابهُ ناحيةً عن الجنازة، فقال له بعض أصحابه: يا أميرَ المؤمنين، جنازةٌ أنتَ وليُّها تأخَّرتَ عنها وتركتَها؟ فقال: نعم نَادَانِي القبر منْ خلفي: يا عُمر بنَ عبد العزيز، ألا تسألنى ما صنعتُ بالأحبة؟ قلتُ: بلى، قال: أحرقتُ الأكفانَ، ومَـزّقتُ الأبدانَ، ومَـصَـصْتُ الدَم، وأكلتُ اللحم، ثم قال: ألا تسألنى ما صنعتُ بالأَوْصَال[2]؟ قلتُ: بلى، قال: نزعتُ الكَـفَّين من الذّراعين، والذّراعين من العَـضُدين، والعضُدين مَن الكَتِفَينِ، والورِكَيْن[3] من الفخذين، والفخذينِ من الركبتين، والركبتين من السَاقين، والسَاقين من القدمين، ثم بكى عمر، ثم قال:

(١) فى كتاب (الوصايا) لابن العربى، وغيره من الكتب...

(٢) الأوصال: أى المفاصل.

٣) الورك: ما فوق الفخذ ـ وهى مؤنثة.

ألاَ إن الدنيا بقاؤُها قليل، وعزيزُها ذليل، وغنيها فقير، وشابُّها يَـهْرَم، وحَيُّها يموت، فلا يَغُـرَّنَّـكُم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدْبارِهَا، فالمغرور مَن اغترَّ بها، أينَ سُكَّانُها الذين بنَـوْا مَدائنَها، وشَقُّوا أنْـهارَهاَ، وغَـرَسُوا أشجارَهَا، وأقاموا فيها أياماً يَسيـرَةً؟ غـرَّتهُـم بصحَّتهم فاغترُّوا بنشاطهم، فركبوا المعاصيَ، إنهم كانوا والله فى الدنيا مغبوطينَ بالأموال، على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه، ماذا صنع التراب بأبدانهم، والرمل بأجسادهم، والدِّيدانُ بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا فى الدنيا على أسِرَّةٍ ممَـهَّدَةٍ، وفُرشٍ مَـنْـضُودَةٍ، بينَ خَدَمٍ يخدمون، وأهلٍ يُكرمِون، وجيرانٍ يعضدون، فإذا مررتَ فنادِهِم إن كنتَ مُـنَادياً ومُـرَّ بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، واسألْ غنيَّـهُم ما بَقِيَ من غناه، واسأل فقيرهم ما بَقِيَ من فقره، واسألهم عن الألْسُنِ الَتى كانوا بها يتَـكَلَّمون، وعنِ الأعين التى كانوا بها ينظرون، واسألهـم عنِ الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنَة، والأجساد الناعمة: ما صنع بها الديدان؟ مَحَتِ الألوانَ، وأكلَت اللُّحمَانَ[1]، وعَـفَّرتَ الوجوه، ومَحَت المحاسن، وكَسَرتَ الفَـقَار، وأبانت الأحشاء، ومَـزَّقَتَ الأشْلاءَ[2]، وأَين حُجَّابهم ونُـوَّابهم، وأين خدمهم وعبيدهم، وجمعهم ومكنونُهم؟ والله مَا فَرشوا فراشاً، ولا وضعوا هنَالكَ مُـتَّـكَـأً، ولا غَرَسوا لهم شَجراً، ولا أنزلوهم من اللَّحْد قراراً، أليْسوا فى منَازل الخَلوات والفَلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ ألَيسَ هم فى مُدلَهِـمَّة ظَلَماءَ؟ قد حيلَ بينهم وبين العمل، وفارقُوا الأحِبَّةَ، فكَم من نَاعِمٍ وناعمة أصبحُوا ووجوهم بالية، وأجسادهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم متمـزِّقة، وقد سالت الحدقات على الوجنات، وامتلأت الأفواه دَماً وصَديداً، ودَبَّت دواب الأرضِ فى أجسادهم ففرقت أعضاءهُم، ثم لم يلبثوا والله إلاَّ يَسيراً، حتى عَادت العظام رَميماً، قد فارقُوا الحدائق، وصاروا بعْد السَّعة إلى المضائق، وقد تزوَّجت نساؤُهم، وترَدَّدتْ فى

(١) اللحمان: جمع لحم ـ بالضم.

(٢) أشلاء الإنسان: أعضاؤه بعد البلى والتفرق.

الطرق أبناؤهم، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره، الغض الناضر فيه، المنعم بلذته، يا ساكن القبر غداً: ما الذى غرك من الدنيا، هل تعلم أنك تبقى لها أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء، ونهرك المطرد؟ وأين ثمرتك الحاضرة ينعها، وأين رقاق ثيابك، وأين طيبك، وأين نحورك، وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلاً، وهو يرشح عرقاً، ويتلظى عطشاً، يتقلب فى سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجل ما لا يمتنع منه، هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخليه فى القبر وراجعاً عنه، ليت شعرى: كيف كنت على خشونة الثرى؟ ليت شعرى: بأى خديك يبدأ البلى، وأى عينيك سالت أولا؟ يا مجاور الهلكات، صرت فى محل الموتى، ليت شعرى: ما الذى يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا، وما يأتينى به من رسالة ربى؟ ثم تمثل ناظماً:

تسر بما يفنى وتشغل بالمنى كما اغتر باللذات فى النوم حالم
نهارك يامغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
وتعمل شيئاً سوف تكره غبه[1] كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

* * *

ثم انصرف، فما بقى بعد ذلك إلا جمعة ثم مات رضى الله عنه.

فاتعظ منه وأنذر إنه فى الوعظ غاية
واتخذ ما فيه ذكرى إن فى هذا كفاية

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طه عبد الله العفيفى

(١) غب كل شىء ـ بالكسر ـ: عاقبته.

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

هـذا الكتـاب

يدور حول خبر جاء فيه : أن أبا هريرة رضى الله عنه ذهب ذات يوم إلى السوق . . فرأى التجار فيه وقد تكالبوا على الدنيا . . فقال لهم بأسلوب تربوى تعلمه من أستاذه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : أراكم هاهنا وميراث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقسم فى المسجد . . فلما سمعوا كلمة (ميراث) أسرعوا إلى المسجد ظَنًّا منهم أنه من متاع الدنيا الزائل . . ولكنهم لم يجدوا فى المسجد ميراثاً من هذا النوع الذى أسرعوا من أجل الحصول عليه . . فعادوا إليه وقالوا له : لم قلتَ كذا وكذا . . إننا عندما ذهبنا إلى مسجد الرسول لم نجد ميراثاً يُقسم . . قال : فماذا وجدتم ؟ قالوا : وجدنا قوماً يصلون ، وقوماً يقرأون القرآن ، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام . . قال : فذلك (ميراث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) .

فاقرأ كل هـذا أخا الإسلام بالتفصيل فى هـذا الكتاب المبارك وأنت تسأل الله تعالى أن يجعلك وإيَّانَا أهلاً لهذا الميراث المحمدى . . اللهم آمين ،

(الناشر)



الدار المصرية اللبنانية طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ ٣٩٣٦٧٤٣ فاكس ٣٩٠٩٦١٨ برقياً دار شادو - ص ب ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO